العيْن، دلالاتها وأوصافها
في ضوء القرآن الكريم
دراسة موضوعية

تأليف
عبدالله موسي محمد أبوا لمجد
أستاذ مساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن الكريم
بكلية أصول الدين بطنطا
جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجاً، قيماً، والحمد له تعالى على ما أوضح لنا من برهانه، وبيّن لنا من فرقانه، وهدانا إليه من هدايات كتابه، المنزل على خير خلقه، وخاتم رسله وأنبيائه صلوات الله عليه وسلامه..

ثم أما بعد..

فإن القرآن الكريم معين الله الصافي، ونبعه الضافي، ونوره الذي أنار به أرجاء الدنيا والفيافي، كتابه الخالد، ومعجزته الكبرى، ومنهجه الإصلاحي الشامل، تحدى به رسول الله ﷺ الناس عامة، والعرب خاصة، حيث لم تعرف البشرية جمعاء أمة تقيم للكلمة أسواقاً ليالي وأياماً مثل العرب، ومع ذلك عجزوا قاطبة عن معارضته، وسيظل هذا العجز أبد الآبدين ودهر الداهرين، مصداقاً لقوله تعالى ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء-٨٨]

ومع هذا العجز للدنيا بأسرها يتجدد عطاء القرآن يوماً بعد يوم، ويأتينا الباحثون من كل حدب وصوْب – مع اختلاف تخصصاتهم وتنوّع مشاربهم – بكل جديد ومفيد بإذن الله تعالى.

والمتأمّل في كتاب الله تعالى يجد أنه ذكر بعضاً من جوارح الإنسان في عدد لا بأس به من الآيات القرآنية، مما يلفت النظر ويسترعي الانتباه نحو دراستها وبحثها، و" العين" من الجوارح التي كثر ذكرها في القرآن، ومن ثَم كان هذا البحث الذي يقع تحت عنوان (**العين، دلالاتها وأوصافها في ضوء القرآن الكريم ـ دراسة موضوعية**).

وكان لاختياري هذا الموضوع عدة أسباب أجلّيها في :-

أسباب اختيار الموضوع، وأهميته :-

أولاً : ما شدّ انتباهي حينما كنت أطالع بعض كتب اللغة فألفيت أحد المؤلفين (١) يذكر عن بعضهم : أن كلمة " أعين" لم تأت في القرآن إلا جمعاً لعين الإنسان التي يُبصر بها، وأن كلمة "عيون" لم تأت إلا جمعاً لعيون الماء، فاسترعى ذلك انتباهي إلى

(١) هو الأستاذ/ محمود عبد الرزاق جمعة في كتابه الأخطاء اللغوية الشائعة في الأوساط الثقافية صـ ٤٣ ط الهيئة المصرية للكتاب عام ٢٠٠٩م.

التحقق من هذا الأمر، ومن ثمّ دراسة الموضوع دراسة قرآنية مستفيضة، بعد تتبع اللفظة، وجمع وإحصاء آيات ورودها.

ثانياً : ما كان يستوقفني أثناء قراءتي لكتاب الله أحياناً من اتصاف العين ببعض الصفات، من كونها فيّاضة، أو قريرة، أو ثابتة غير متطلعة... ونحو ذلك، مما استرعى انتباهي أيضاً ودفعني لدراسة هذا الموضوع، وجمْع متفرقاته.

ثالثاً: خلو الدراسات القرآنية، والمكتبة الإسلامية – فيما أعلم – من بحث أو دراسة تخص هذا الموضوع بدراسة قرآنية موضوعية، ومن هنا تظهر قيمة الموضوع وأهميته، مما أكدّ الرغبة لديّ، فأقدمت عليه بعد استخارة الله تعالى.

رابعاً : الرد علي الطاعنين في القرآن من المستشرقين وأذنابهم، الذين يرجفون ببغيهم نحو القران مدّعين انتفاء "الوحدة الموضوعية "في كتاب الله تعالى، وعدم تماسك لبناته لتفرق الموضوع الواحد فيه، فهذا البحث وأمثاله يلقمهم أحجاراً تكمم أفواههم بإذن الله تعالى.

هذا وقد قسمت البحث وفق الخطة التالية:

خطة البحث:

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

فالمقدمة تشتمل على أسباب اختيار الموضوع وبيان أهميته، وخطة البحث، ومنهجه، والخطوات التي سار عليها.

المبحث الأول: **حدود ومفاهيم**، وفيه مطلبان :

المطلب الأول: دلالات العين وأوجهها في المنظور اللغوي.

المطلب الثاني: العين في المنظور الاصطلاحي.

المبحث الثاني : **دلالات العين وأوجهها في القرآن الكريم**.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العين وأوجهها عند علماء الوجوه والنظائر.

المطلب الثاني: دلالات العين ومعانيها في النظم القرآني.

المطلب الثالث: وقفة تأمل مع هذه الدلالات القرآنية.

المطلب الرابع : مرادفات العين، والتفرقة بينها في الاستعمال القرآني.

المبحث الثالث: أوصاف العين في القرآن الكريم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول :العين المحمودة وصفاتها في القرآن.

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : أعين المؤمنين وأوصافها.

المسألة الثانية : عيون الجنة وأوصافها.

المطلب الثاني : العين المذمومة وأوصافها في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: أوصاف العين الخارجة عن المدح والذم.

ثم **الخاتمة**، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

هذا وقد سلكت في معالجة جزئيات هذا الموضوع المنهج الاستقرائي الموضوعي، القائم على استقراء الآيات القرآنية، وتتبعها ثم تقسيمها إلى موضوعات وجزئيات، كل جزئية مع ما يخصها.

واتبعت في هذه الدراسة الخطوات التالية:

أولاً: قمت بعزو الآيات القرآنية، بذكر السورة ورقم الآية في المتن دون الحاشية.

ثانياً: قمت بتخريج ما ورد في البحث من أحاديث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن لم يكن فيهما تتبعت – قدر المستطاع – مصادره، مع الحكم عليه.

ثالثاً: قمت بجمع الآيات الكريمة المتعلقة بالعين دون مرادفاتها، ووجدت أنها بمختلف تصاريفها بلغت خمساً وستين (٦٥) مرة، وقسمتها إلى جزئيات ومسائل، ووضعت لكل جزئية عنواناً، وجعلت تحتها ما يخصها من آيات، ولما كان الموضوع غير متعلق بالأحكام قمت بدراسة الآيات على وفق ترتيبها المصحفي.

رابعاً: لم أستفض في معاني " العين" اللغوية بل اكتفيت بما رأيته أكثر شهرة وأحلت إلى معانيها اللغوية الأخرى في مصادرها، حيث إن البحث تفسيري في المقام الأول.

خامساً : نظراً لأن لفظ " العين" من قبيل (المشترك اللفظي) تعرضت في مطلب مستقل لما ذكره علماء الوجوه والنظائر بالنسبة للعين، وقسمتُهم إلى متوقّفين ومقلّين ومكثرين.

سادساً: بعد تناولي للدلالات القرآنية المختلفة للفظ " العين" أرجعتها إلى أصل محوري واحدتدور حوله بقية المعانيوهذا من بلاغةكلام الله تعالى وإعجازه.

سابعاً: إن زادت الآيات عن ثلاث قمت بتناولها والتعليق عليها جميعاً، وإن كانت ثلاثة فأقل أقف معها – غالباً – بشيء من التفصيل والتحليل وذكر المناسبة والمعنى الإجمالي... ونحو ذلك ، وأنظر إلى الآيات جميعها – كثرت أو قلّت – نظرة إجمالية تبرز بعض أسرار التعبير القرآني فيها، تحت عنوان " ألاحظ على الآية أو الآيات أمرين أو أموراً : أولاً، ثانياً.. وهكذا.

ثامناً : حاولت – قدر جهدي – أن تكون عناوين المباحث والمطالب والجزئيات قرآنية، مستوحاة من ألفاظ القرآن نفسه، اللهم إلا في القليل النادر.

تاسعاً : إذا كان لي في المسألة أو القضية رأى خاص مغاير لما سبق أبرزه مستقلاً، مصدّراً إياه بخط مغاير بكلمة " وأرى، أوأميل، أوأرجّح.. ونحو ذلك".

عاشراً: بالنسبة لمبحث صفات العين في القرآن أعنون للصفة بعنوان ما، ثم أقوم بتعريفها، ثم أذكر الآية أو الآيات الواردة فيها، ثم أختم بالتعليق وبيان الملاحظات مع إبراز بعض أسرار التعبير القرآني فيها، واقتصرت فيه على صفات العين دون مرادفاتها تركيزاً واختصاراً.

حادي عشر : لم أترجم إلا لغير المشهورين من العلماء لذا قل عدد من ترجمت لهم في البحث، وذيّلت البحث بثبتَيْن لتسهيل الوصول إلى المطلوب، الأول ثبْت بأهم المصادر والمراجع، والثاني ثبْت بالموضوعات التي تناولها البحث.

.....وبعد فإن كنت وُفّقت في عرض هذا الموضوع وخدمته خدمة علمية تليق بجلال القرآن الكريم وعظمته فلسان حالي ومقالي يرددان :

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [**هود** :٨٨].

وإن كانت الأخرى –وأسأل الله أن لا تكون – فدعائي:

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة :٢٨٦].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه أبو البراء

د/ عبد الله موسى أحمد أبو البراء

المبحث الأول : حدود ومفاهيم.

تمهيد :

من الجدير بالذكر في أول العلوم والأبحاث أن تُبدأ بالتعريف، فبالتعريف تتميز الأشياء، ويتضح المبهم، ويتخصص العام... ونحو ذلك مما قد يوقع في الإبهام وعدم الوضوح، ولذلك عقدت هذا المبحث والذي يليه للوقوف على حقيقة المراد بالعين لغة واصطلاحاً وقرآناً، وذلك كما يلي :-

المطلب الأول : دلالات العين وأوجهها في المنظور اللغوي.

الناظر في المعاجم العربية يجد أن مادة " ع ي ن " تدور في اللغة حول معان كثيرة، أوصلها بعضهم إلى ما ينيف علي الخمسين، بل ذكر صاحب " تاج العروس " عن بعض مشايخه أن " معاني العين زادت على المائة " (١)، ونظراً لهذه الكثرة الكاثرة للمعاني اللغوية لمادة " العين " فإنني سأقتصر هنا علي ثمانية معان أرى أنها أكثر شهرة وتداولاً، مع إحالتي إلى بقية المعاني في مواطنها – بإذن الله تعالى– حيث إن البحث تفسيري في المقام الأول، واللغة بحر لا ساحل له، وفي ضوء ذلك أقول – وبالله التوفيق – أهم هذه المعاني وأوسعها شهرة المعني :

الأول : الباصرة.

يعد إطلاق لفظ " العين " علي حاسة البصر أول إطلاقاتها وأشهرها، وهو أصل لما سواه، وفي ذلك يقول ابن فارس (العين والياء والنون أصل واحد صحيح، يدل علي عضو به يُبصر ويُنظر، ثم يُشتق منه، والأصل في جميعه ما ذكرنا..)(٢)

وعن شهرة هذا المعنى يقول الزبيدي بعد أن بدأ به معاني العين (.. فأشهرها " الباصرة " ويُعبر عنها بالجارحة، وفيه قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾ [المائدة : ٤٥]، وظاهره أن الباصرة أصل في معناها، وهو الذي جزم به كثيرون)(٣).

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني، المعروف بـ"مرتضى الزبيدي " (ت ١٢٠٥هـ) ٣٥ / ٤٤٠ تح / مجموعة من العلماء والمحققين ط دار الهداية.

(٢) مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ٤ / ١٩٩ تح أ / عبد السلام هارون ط دار الفكر بيروت ١٩٧٩م.

(٣) تاج العروس ٣٥ / ٤٤٠ بتصرف.

الثاني : الينبوع.

وتطلق العين أيضاً علي ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري، والجمع أعين وعيون (١).

وفي ذلك يقول ابن فارس (ومن الباب : العين الجارية النابعة من عيون الماء، وإنما سميت عيناً تشبيهاً لها بالعين الناظرة لصفائها ومائها، ويقال : قد عانت الصخرة، وذلك إذا كان بها صدع يخرج منه الماء)(٢).

الثالث : الجاسوس.

من معاني العين المشتهرة أيضاً : الجاسوس الذي يتجسس الأخبار، ويستكشفها في أمر ما.

وفي ذلك يقول الخليل (والعين : الذي تبعثه لتجَسُّس الخبر، وتسميه العرب " ذا العُيَيْنتيْن، وذا العُوَيْنَتَيْن، وكله بمعني واحد) (٣).

ويقال : بعثنا عيناً يَعْتان لنا، أي طليعة يأتينا بالخبر، وذهب فلان فاعْتان لنا منزلاً مُكْلئاً، أي : ارتاد لنا منزلاً ذا كلأ (٤)، وسمي الجاسوس بذلك لأنه ينظر بعينه، وكأنه شيء ترى به ما يغيب عنك(٥).

الرابع : ذات الشيء ونفسه.

---

(١) يراجع : تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) ٣ / ١٣٠ تح أ / محمد عوض ط دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م، ولسان العرب لأبي الفضل محمد بن منظور المصري (ت ٧١١ هـ) ١٣/ ٣٠٣ ط دار صادر بيروت بدون.

(٢) مقاييس اللغة ٤ / ٢٠٠ (عين).

(٣) العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٠هـ) ٢ / ٢٥٤ تح د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، ط دار الهلال بالقاهرة.

(٤) تهذيب اللغة للأزهري ٣ / ١٣٢،١٣٣بتصرف (عين).

(٥) يراجع : مقاييس اللغة ٤ / ٢٠٠، ولسان العرب ١٣ / ٣٠٣ بتصرف " عين ".

من المعاني أيضاً : ذات الشيء ونفسه فـ (عين الشيء : نفسه وشخصه وأصله، والجمع : أعيان، وعين كل شيء : نفسه وحاضره وشاهده، وهذه أعيان دراهمك، ودراهمك بأعينها، وهؤلاء إخوتك بأعيانهم، ولا يقال : بأعينهم، ولا عيونهم)[١].

الخامس : النظر والمشاهدة.

ومن المعاني : النظر والمشاهدة، وفي ذلك يقول ابن منظور (والعين والمعاينة : النظر، وقد عاينه معاينة وعياناً : لم يشك في رؤيته إياه،ورأيت فلاناً عياناً، أي : مواجهة)[٢].

ومن هذا الباب أيضاً : ما اشتُهر علي ألسنة بعض الناس من قولهم في الأمثال : لا أطلب أثراً بعد عين، أي : بعد معاينة، ومعناه : لا أترك الشيء وأنا أعاينه، ثم أطلب أثره بعد ذلك، وهذا مثل يُضرب لمن ترك شيئاً يراه، ثم تبع أثره بعد فوت عينه.
وأصله : أن رجلاً [٣]رأى قاتل أخيه، فلما أراد قتله قال : أفتدي بمائة ناقة، فقال : لست أطلب أثراً بعد عين [٤] فصارت مثلاً.

السادس : الشرف والأشراف.

لفظ " العين " مؤنث، يُجمع علي عُيون وأَعْيُن وأَعْيَان، ومن معانيها : الشرف والأشراف، فيقال : هذا شريف القوم، وهؤلاء أعيان قومهم، أي : أشرافهم وأفاضلهم، علي المَثَل بشرف العين والحاسة، وكأنهم عيون القوم التي بها ينظرون[٥].

السابع : المال الحاضر.

---

(١) لسان العرب ١٣ / ٣٠٦ " عين ".
(٢) اللسان ١٣ / ٣٠٢ " عين " بتصرف.
(٣) ذكر الميداني أنه : مالك بن عمرو العاملي، وهو أول من قال هذا المثل، وكان أخوه الذي قتل يسمى " سِمَاك " يراجع : مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (٥١٨هـ) ١ / ١٢٧ تح أ / محمد محي الدين عبد الحميد ط دار المعرفة . بيروت.
(٤) يراجع : العين للفراهيدي ٢ / ٢٥٥، وتهذيب اللغة للأزهري ٣ / ١٣٢، واللسان ١٣ / ٣٠٦ "عين ".
(٥) يراجع : العين ٢ / ٢٥٥، وتهذيب اللغة ٣ / ١٣٣، ومقاييس اللغة ٤ / ٢٠٣ " عين " بتصرف.

من مدلولات هذه اللفظة أيضاً في العربية " المال الحاضر " حيث يقول الخليل (والعين : المال العتيد، يقال : إنه لعين غير دين، أي مال حاضر) (١).

والعين : النقد، يقال : اشتريتَ العبد بالدين أو بالعين ؟! ومن كلامهم : عين غير دين، أي : هو مال حاضر تراه العيون، والعين : الدينار أيضاً (٢).

الثامن : الجسد.

وفي هذا المعنى يقول ابن منظور:-

(والعين :أن تصيب الإنسان بعين) (٣)، ومن هذا المعنى قولهم : عان الرجل فلاناً بعينه عيناً، إذا أصابه بالعين، فهو عائن، والمصاب بالعين مَعِين، ويقال : مَعْيون، ويقال أيضاً : رجل مِعْيان وعَيُون، إذا كان خبيث العين شديد الإصابة بها، والجمع عُيُن (٤).

وفي الحديث : " العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استُغْسِلتم فاغسلوا "(٥).

---

(١) العين ٢ / ٢٥٤ " عين ".

(٢) يراجع : مقاييس اللغة ٤ / ٢٠٣، ومختار الصحاح لأبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٦٦٦هـ) ٢٢٣/١ تح/ يوسف الشيخ محمد، ط المكتبة العصرية بيروت١٩٩٩م، ولسان العرب ١٣ / ٢٩٨ " عين " بتصرف.

(٣) اللسان ١٣ / ٣٠١" عين ".

(٤) يراجع : العين ٢ / ٢٥٤، وتهذيب اللغة ٣ / ١٣٠، وابن فارس ٤ / ١٩٩، وغيرها " عين".

(٥) **متفق عليه** : رواه البخاري في صحيحه ك (الطب) ب (العين حق) ح (٥٤٠٨)،يراجع : الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦ هـ)٢١٦٧/٥ تح د/ مصطفى البُغا ط دار ابن كثير بيروت ١٩٨٧م، ومسلم –واللفظ له– ك (السلام) ب (الطب والمرض والرقي) ح (٥٨٣١)،يراجع : الصحيح لأبي الحسين مسلم ابن الحجاج بن مسلم القشيري (٢٦١هـ) ٧ / ١٣ ط دار الجيل بيروت، وقوله " وإذا استُغسلتم فاغسلوا " معناه : إن طلب من العائن أن يغسل أعضاءه فليفعل، ثم يصب هذا الماء على المعيون، وذكر ابن حجر عن المارزي وجوب الاغتسال ونحوه (يراجع : فتح البارى شرح صحيح البخارى

لأحمد بن على بن حجر العسقلاني " ت ٨٥٢ " هـ ١٠ / ٢٠٤، ط دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩ هـ).

** التعليق علي هذه المعاني اللغوية.

من خلال النظر والتأمل في المعاني اللغوية السابقة نلحظ عدة أمور :

أولها : أن مادة " عين " من قبيل المشترك اللفظي، الذي يَرِد في اللغة علي معان متعددة، ويأتي السياق ليحدد أحدها، واقتصرتُ علي البعض المذكور لشهرته –في نظري – من ناحية، وخشية الإطالة من ناحية أخري.

ثانيها : أن المعنى الأول " الباصرة هو المتبادر للذهن، وهو الذي يسبق إلى الفهم عند إطلاق هذه اللفظة، وما عداه من المعاني فرع عنه وتبع له.

ثالثها : أن لفظ " عين " يُجمع على " أعْين، وعُيون، وأعْيان، وعُيُن" والفارق بينها – فيما أرى –

في اللغة ليس بالكبير عند استعمال أحدها مكان الآخر، غير أن عيوناً جمع كثرة، وما عداه فقلة،

والله أعلم.

المطلب الثاني : "العين" في المنظور الاصطلاحي.

من المعلوم أن اللغة بحرها واسع، والمعاني فيها تتعدد وتتنوع، لكن التعريف الاصطلاحي يأتي ليقتصر على أحد هذه المعاني، وبها يتحدد تعريف شيء ما في الاصطلاح، ونظراً لأن المعاني اللغوية كلها رجعت إلى معنى واحد، هو أصلها والبقية فرع عنه، فإني سأقتصر عليه، وسيكون التعريف الاصطلاحي تبعاً له، وعليه فإن التعريف قد تغلب عليه السمة التشريحية الطبية، وفي ضوء هذا عرفوا العين في الاصطلاح بأنها عبارة عن :

(عضو صغير معقّد، يتم به الإبصار، مكوّن من عدة أجزاء، على شكل كرة، موجود داخل محجر، يدرك الأشكال والحركات والنتوءات والألوان واختلافات الإضاءة بصورة معكوسة) (١).

ولن أقف طويلاً مع الشرح والتفاصيل بل أترك ذلك لأهل التخصص وعلماء التشريح، محيلاً إلى مصادرهم، وأكتفي فقط بالإشارة إلى مجمل ما يتعلق بالعين وكيفية عملها، فأقول وبالله التوفيق:

تتكون العين من الملتحمة والقرنية والشبكية والصلبة والقزحية والبؤبؤ والعدسة والعصب البصري، وتلتقط الصورة كآلة التصوير والاثنان يعملان بنفس الطريقة تقريباً، حيث يدخل الضوء إلى مقدمة العين عبر غشاء شفاف هو القرنية، محاط ببياض العين، وخلف القرنية توجد القزحية وهي حلقة ملونة (أسود، أخضر، بني...)، وبين القرنية والقزحية يوجد سائل يعرف بالرطوبة المائية، ويوجد في وسط القزحية ثقب أسود هو البؤبؤ، يتقلص البؤبؤ حتى يجنبنا الانبهار عندما تكون أشعة الشمس قوية ويتسع عندما يخف النور، ويمر الضوء بعد ذلك عبر العدسة ثم عبر سائل آخر يعرف بخلط

(١) يراجع :أمراض العين وعلاجاتها للشيخ الرئيس/الحسين بن علي بن سينا(٤٣٨هـ)ص٢٦ تح د/ محمد ظافر وآخر،ط دار النفائس–بيروت ١٩٩٨م،وأسرار العيون د/محمودمصطفى ص٧، ط مؤسسة عز الدين–بيروت، والعين عناية ووقاية د/خالد طبارة ص١٣ وما بعدها،ط دار العلوم للطباعة بالرياض ١٩٨٨م.

العين، وأخيراً تسقط الصورة في قعر العين على غشاء هو الشبكية، يمكن مقارنته بالفيلم داخل آلة التصوير.

تحمي الجفون والأهداب العينين، وتوجد غدد صغيرة تحت الجفون تفرز الدموع بشكل مستمر بطريقة منتظمة على العين مما يمنع جفافها(١)، فسبحان الخلاق العظيم الذي قال ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

(١) يراجع : أسرار العيون د/محمودمصطفى ص٧، والعين د/خالدطبارة ص١٤،وأمراض العين لابن سينا ص٢٦...وغيرها.

المبحث الثاني: دلالات العين ومرادفاتها في القرآن الكريم.

تمهيد :

وقفنا من خلال المبحث السابق علي بعض معاني " العين " في المنظور اللغوي والاصطلاحي، وأن مدلولاتها في اللغة كثيرة ربت علي الخمسين، لكن القرآن الكريم لم يذكر كل هذه المعاني، بل اقتصر علي بعضها، سيعرضه البحث فيما يلي، وقبل ذلك سيعرض ما ذكره أصحاب الوجوه والنظائر القرآنية تحت هذا اللفظ، ثم يتعرض لمشتقات "العين" من خلال مطالبه التالية :-

المطلب الأول : العين وأوجهها عند علماء الوجوه والنظائر.

الناظر في مصنفات علماء الوجوه والنظائر، وما دونوه فيما يتعلق بالعين، يجد أنهم ثلاثة أصناف :-

الأول : المُحجِمون. **والثاني** : المقلُّون. **والثالث** : المكثرون.

فأما **المُحجِمون** فلم يتعرضوا لقليل أو كثير يتعلق بهذه اللفظة(١)، **والمقلّون** ذكروا أن لفظة " العين " ترد في القرآن علي وجهين (١)أو ستة علي الأكثر (٢)، **والمكثرون** فآخر عدد توصلوا إليه هو سبعة عشر وجهاً.

---

(١) **من العلماء المُحجِمين** :

١- الإمام مقاتل بن سليمان البلخى (١٥٠هـ) في كتابه الأشباه والنظائر في القرآن الكريم تح د/عبدالله شحاته ط دار غريب بالقاهرة ٢٠٠١م.

٢- والإمام هارون بن موسى الأعور (١٧٠هـ)في كتابه " الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم " تح د/حاتم الضامن ط وزارة الثقافة العراقية ١٩٨٨م.

٣- والإمام يحيى بن سلام (٢٠٠هـ) في كتابه " التصاريف " تح د/هند شلبي ط الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٨م.

٤- والإمام محمد بن على بن الحسن ، الملقب " بالحكيم الترمذى " (٣٢٠هـ) في كتابه "تحصيل نظائر القرآن " تح أ /حسنى زيدان ط السعادة بالقاهرة ١٩٧٥م . =

لكني لست مع أولاء أو هؤلاء أو أولئك، فلا أرى توقف المتوقِّفين، ولا قلّة المقلّين ولا كثرة المكثرين، وذلك لعدة أسباب :

الأول : ورود هذه اللفظة في القرآن خمساً وستين مرة بصيغ مختلفة مفردة ومجموعة، مضافة ومنقطعة عن الإضافة، نكرة ومعرفة (٣)، ومجيئها بهذا العدد الجمّ على صيغ

٥- ومنهم الإمام الثعالبي (٤٢٩هـ) في كتابه " الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية " تح أ/محمد المصرى ط عالم الكتب بسوريا ١٩٨٤م.

٦- والإمام ابن العماد المصري (٨٨٧هـ) في كتابه " كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر " تح د/ محمد داود وآخر، ط شباب الجامعة بالإسكندرية ١٩٧٧م.

(١) من العلماء الذين ذكروا وجهين فقط لمعنى " العين " فى القرآن : الإمام أبو هلال العسكرى (٤٠٠هـ) فى كتابه الوجوه والنظائر ص ٣٥٦، تح د /محمد عثمان ط مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة ٢٠٠٧م، وإسماعيل الحيري في كتابه (وجوه القرآن)..وغيرهما.

(٢) لم أر أحداً من العلماء أكثر من وجوه " العين " القرآنية إلا الإمام مجد الدين الفيروزآبادي (٨١٧هـ)فى كتابه " بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ٤ / ٦ ،٧ تح أ/محمد على النجار ط دار الكتب العلمية بيروت- بدون، حيث ذكر سبعة عشر وجهاً لها، لكن بعضها متداخل في بعض، كما سنرى إن شاء الله تعالى.

(٣) ورد لفظ " **العين** " في القرآن الكريم بصيغ مختلفة خمساً وستين مرة، فورد بصيغة " **عين** " سبع مرات في الكهف / ٨٦، والقصص / ٩، وسبأ / ١٢، والغاشية / ٥، ١٢، والتكاثر ٧، وبلفظ " **العين** " مرتين في آل عمران / ١٣ والمائدة / ٤٥، وبلفظ " **عيناً** " ست مرات في البقرة / ٦٠، والأعراف / ١٦٠، ومريم / ٢٦، والإنسان / ٦، ١٨، والمطففين / ٢٨، وبلفظ " **عينها** " مرتين في طه / ٤٠، والقصص / ١٣، وبلفظ " **عينيي** " مرة واحدة في طه / ٣٩، وبلفظ " **عيناك** " مرة واحدة في الكهف / ٢٨، وبلفظ " **عينان** " مرتين في الرحمن / ٥٠، ٦٦، وبلفظ " **عيناه** " مرة واحدة في يوسف / ٨٤، وبلفظ " **عينيك** " مرتين في الحجر / ٨٨، وطه / ١٣١، وبلفظ " **عينين** " مرة واحدة في البلد / ٨، وبلفظ " **عيون** " تسع مرات في الحجر / ٤٥، والشعراء / ٥٧، ١٣٤، ١٤٧، ويس / ٣٤ مع الألف واللام، والدخان / ٢٥، ٥٢، والذاريات / ٢١٥، والمرسلات / ٤١، وبلفظ " **عيونا** " مرة واحدة في القمر / ١٢، وبلفظ " **أعين** " ثماني مرات في الأعراف / ١١٦، ١٧٩، ١٩٥، والأنبياء / ٦١، والفرقان / ٧٤، والسجدة / ١٧ والزخرف / ٧١، = =وبلفظ " **أعينكم** " مرتين في

مختلفة لا يمكن أن تكون معه عارية عن المعنى، أو وردت على وجه أو أوجه واضحة لا تستدعي الذكر والبحث.. ولعل هذا مما يُرَد به علي المُحجِمين.

الثاني : تنوّع معاني هذه اللفظة في القرآن الكريم، ووصولها إلي أكثر من أحد عشر وجهاً، وذلك من خلال استقرائي للآيات الكريمة –كما سيتضح لنا بعد قليل – ولعل هذا يرد علي المقلين الذين وقفوا بهذه المعاني علي خمسة أوجه أو ستة فقط.

الثالث : تداخل كثير من الأوجه التي ذكرها المكثرون – والتي أوصلها بعضهم إلي سبعة عشر وجهاً– في بعضها البعض، مع أنه بالإمكان اشتمال بعضها علي بعض، وتداخله فيه (١).

الأنفال / ٤٤، وهود عليه السلام / ٣١، وبلفظ "**أعينينا** " أربع مرات في هود / ٣٧، والمؤمنون / ٢٧، والطور / ٤٨، والقمر / ١٤.

وبلفظ " **أعينهم** " سبع مرات في المائدة / ٨٣، والأنفال / ٤٤، والتوبة / ٩٢، والكهف / ١٠١، والأحزاب / ١٩، ويس / ٦٦، والقمر / ٣٧، وبلفظ " **أعينهن** " مرة واحدة في الأحزاب / ٥١، وبلفظ " **عين** " بكسر العين أربع مرات في الصافات / ٤٨، والدخان / ٥٤، والطور / ٢٠، والواقعة / ٢٢، وأخيراً بلفظ " **معين** " أربع مرات في المؤمنون / ٥١، والصافات / ٤٥، والواقعة / ١٨، والملك / ٣٠(يراجع : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للشيخ / محمد فؤاد عبد الباقي ص ٤٩٥ – ٤٩٦ " ع ي ن " ط دار الكتب المصرية ١٣٦٤هـ).

(١) مما يدل على هذا التداخل : ما ذكره صاحب " البصائر " أن من معاني العين : الجارية التي وُعد بها المتقون، واستدل بقوله تعالى ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ [الغاشية / ١٢]، والموعود لأصحاب اليمين، واستدل بقوله ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن / ٥٠]، والموعود بها السابقون، ذكر قوله ﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [الإنسان / ١٨]، ولا أدري ما سر تخصيص هذه العين بالسبّاقين ؟ وذَكَر من معاني العين أيضاً : الموعود بها الأبرار وأهل الخصوص، واستدل بقوله تعالى ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [الإنسان / ٦]، والموعود بها المقربون ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين / ٢٨] وهي عين التسنيم (يراجع : بصائر ذوي التميز ٤ / ٦) =

وعلي ضوء ما سبق أقرر أن لفظ " العين " من الألفاظ المشتركة الواردة في القرآن، فلفظه واحد ومعانيه متعددة كما يتجلى لنا ذلك من خلال المطلب التالي :

= فهذه وجوه خمسة ذكرها صاحب البصائر على أنها مستقلة، مع أنه يمكن ردها جميعاً إلى وجه واحد، وهو " من عيون أهل الجنة " وعليه فتصبح الوجوه عنده اثني عشر وجهاً لا سبعة عشر كما ذكر، والله أعلم.

المطلب الثاني : دلالات العين ومعانيها في النظم القرآني.

للعين في القرآن عدة دلالات ومعان :

أولها : الباصرة.

يُعد هذا المعنى أكثر معاني " العين " وروداً في القرآن الكريم وأشهرها، فـ " الباصرة أو الجارحة " هي عضو حاسة البصر للإنسان والحيوان، وكل ذي بصر، وتجمع علي أعْين، وعُيون.

وكما سبق تقريره أن هذا المعني أصل لبقية المعاني، وأول ما يسبق إلي الفهم عند إطلاق لفظ العين، وبقية معانيه تعد من قبيل المجاز.

وفي ذلك يقول ابن الجوزي (العين من الألفاظ المشتركة، والأصل فيها العين الباصرة، ثم هي بالوضع العرفي منقولة إلي مواضع...) (١).

ونتيجة لأصالة هذا المعنى القرآني ألفيت مصنفات " الوجوه والنظائر " القرآنية قديماً وحديثاً تكاد تتفق عليه، وإن اختلفت في التعبير عنه فيما بينها (٢).

ومن خلال تتبعي واستقرائي للآيات القرآنية وجدت أن هذا المعنى ورد في عشرين موضعاً من كتاب الله تعالى أذكرها مرتبة حسب ورودها بالمصحف فيما يلي :-

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧هـ) تح/ محمد الراضي ص ٢٧٥ ط مؤسسة الرسالة بيروت١٩٨٤م.

(٢) يراجع **من المصادر العتيقة** : ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي (٢٨٥هـ) ص ٣ تح أ/ عبد العزيز الميمني ط المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٠هـ، والوجوه والنظائر للعسكري ص ٣٥٦، والمفردات في غريب القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (٤٢٥هـ) ص ٥٩٨ تح أ/صفوان عدنان ط العلم بدمشق ١٤١٢هـ، ووجوه القرآن لإسماعيل الحيري ص ٣١١، والوجوه والنظائر للدامغاني ص ٥٥١، ونزهة الأعين لابن الجوزي ص ٢٧٥، والبصائر ٤/ ٥.

ومن المصادر الحديثة : معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٢ / ٤٤٦ ط دار الشروق ١٩٨١م، والقاموس القويم للقرآن الكريم أ/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح ٢ / ٤٥ ط مجمع البحوث بالقاهرة ١٩٨٣م، وموسوعة الألفاظ القرآنية أ/ مختار فوزي النعّال ص ٥٤٧ ط التراث بدمشق ٢٠٠٣م، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته د/ أحمد مختار عمر ص ١٠٣٨ ط مؤسسة سطور بالرياض ٢٠٠٢م، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم أ/ سميح عاطف الزين ص ٧٣٥ ط دار الكتاب المصري بالقاهرة ٢٠٠٧م... وغيرها.

١- قال تعالى ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ ﴾ [آل عمران : ١٣].
٢- وقال تعالى﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ ﴾[المائدة : ٤٥].
٣- وقال تعالى﴿ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[المائدة: ٨٣].
٤- وقال تعالى﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ [الأعراف : ١١٦].
٥- وقال تعالى﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا ﴾ [الأعراف : ١٧٩].
٦- وقال تعالى ﴿ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ﴾ [الأعراف : ١٩٥].
٧- وقال تعالى﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ [الأنفال : ٤٤].
٨- وقال تعالى﴿ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴾ [التوبة : ٩٢].
٩- وقال تعالى﴿ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ ﴾ [هود : ٣١].
١٠- وقال تعالى﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ ﴾ [يوسف: ٨٤].
١١- وقال تعالى﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [الحجر : ٨٨].
١٢- وقال تعالى﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾ [الكهف : ٢٨].
١٣- وقال تعالى﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ ﴾ [طه : ١٣١].
١٤- وقال تعالى﴿ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب : ١٩].
١٥- وقال تعالى﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ ﴾ [يس : ٦٦].
١٦- وقال تعالى﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ ﴾ [غافر : ١٩].
١٧- وقال تعالى﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ [الزخرف : ٧١].

١٨- وقال تعالى﴿ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ ﴾ [القمر : ٣٧].

١٩- وقال تعالى﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد : ٨]. والموضع الثاني ذُكرت فيه العين مرتين.

ومن خلال النظرة العامة في هذه الآيات المباركات نجد أن لفظ " العين " ورد فيها مفرداً ومثني وجمعاً، ومُعرّفاً ومنكراً، ومضافاً إلي ضمير الغائب " **هم** "، والمخاطب " **كم** "، ونحو ذلك في سياقات مختلفة، فمنها ما جاء في سياق المدح أو الذم، أو الأمر أو النهي، أو الامتنان كما في قوله ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد : ٨].... وفي جميعها لا يعدو لفظ " العين " معني" الباصرة أو الجارحة " علي الأرجح، وهذا كله يوقفنا علي ثراء لغة القرآن الكريم في التعبير عن المعني الواحد بصيغ مختلفة في سياقات متباينة، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى ألحظ على الآيات أيضاً أن الجمع فيها ورد بصيغة واحدة " أعْيُن " جمع قلة على وزن " أفْعُل " وذلك عند الحديث عن البشر عموماً، مؤمنين أو كافرين، في الدنيا أو في الجنة، أما إذا كان الحديث عن عيون الأرض أو عيون الجنة يأتي جمع العين على" عُيون " على وزن " فُعُول "، وأرى أن السر في هذه المغايرة– والله أعلم – الاعتبار بالكثرة والقلة، فلما كان الواحد من البشر ليس له إلا عينين، أوثر التعبير عنهم بجمع القلة " أفْعُل " على أن أقل الجمع اثنان، ولما كثرت عيون الأرض وعيون الجنة كثرة عظيمة، حتي إنك لتجد في المكان الواحد عيوناً كثيرة، أوثر التعبير عنها بجمع الكثرة " عيون " بدلاً من "أعْيُن"، والله أعلم وأعز وأحكم.

ثانيها : منبع مياه أهل الجنة.

عنونتُ لهذا المعنى الدلالي بهذا العنوان، واخترت " مياه " بدلاً من " شراب " لأن منافع الماء لأهل الجنة متنوعة، فليس الماء قاصراً علي الشراب وحده، بل للنظر والمتعة، وما يحدثه من خضرة تبعث في النفس الفرح والبهجة والسرور... وما شاكل ذلك.

وخصَصْت أهل الجنة بالذكر لأن الله تعالى خصّهم وجعل لهم عيوناً خاصة بهم، ولا غرو في ذلك، فهم أهل للتخصيص والتكريم.

وهذا المعنى الدلالي أشار إليه بعض علماء الوجوه والنظائر، لكن مع اختلاف في التعبير (١)، وهو يلي المعنى السابق في عدد وروده في القرآن الكريم، حيث ورد في عشر آيات، أذكرها مرتبة مصحفياً كما يلي :

١- قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الحجر : ٤٥].
٢- وقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الدخان : ٥٢].
٣- وقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الذاريات : ١٥].
٤- وقوله تعالى﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٠].
٥- وقوله تعالى﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٦].
٦- وقوله تعالى﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [الإنسان : ١٨].
٧- وقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ [المرسلات : ٤١].
٨- وقوله تعالى ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ [الغاشية : ١٢].
٩- وقوله تعالى ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان:٦].

(١) يراجع : الدامغاني ص ٥٥٠، والبصائر ٤ / ٦، ونزهة الأعين ص ٢٧٦ والقاموس القويم ٢ / ٤٥، ومعجم اللغة العربية ٢ / ٤٤٦، وموسوعة الألفاظ القرآنية ص ٥٤٦، والمعجم الموسوعي ص ١٠٣٩ " عين ".

١٠- وقوله تعالى﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٢٨].

والملاحظ علي هذه الآيات المباركات أمور :

الأول: أن التعبير ورد فيها بالعين أو العيون دون النهر أو الأنهار، وذلك لأن لفظ " العين " يدل علي جهة المنبع والأصالة، لذا وُصف هذا اللفظ في بعض الآيات بما يدل علي الفَوَران أو النّضْخ...ونحو ذلك مما يفيد القوة والأصالة لهذه العيون.

أما التعبير بالنهر فيدل على مجرد "مجرى الماء الفائض أو جريانه"(١) دون الدلالة علي أصالة منبعه، فإذا قلنا مثلاً : نهر النيل يجري بمصر، لا يعني ذلك أن مصر أصل منبعه، بل ينبع من بقاع أخرى ثم يمر بها، واختصاص أهل الجنة بالعيون لهم فيه من الإكرام والإنعام ما فيه، ولا يعكّر صفو ذلك أن الله تعالى جعل لأهل الجنة أنهاراً (٢) لأنه من باب زيادة الإكرام، حيث جمع الله تعالى لهم بين النوعين، المنبع والمجرى والأصل والفرع، والله أعلم.

الثاني: أن لفظ " العين " هنا جاء مفرداً ومثنى وجمعاً، والذي أفهمه من الإفراد أنه ورد لأمور :

أ- الدلالة علي الجنس، وأن لفظ " عين " جنس لما تحته من عيون.

ب-أن الإفراد ورد للتعبير عن عيون معينة كالسلسبيل الواردة في سورة " الإنسان "، والتسنيم الواردة في سورة " المطففين "، فأمثال هذه العيون يشرب منها جميع أهل الجنة مع عدم التزاحم وارتفاع الأحقاد من بينهم، فالله تعالى

---

(١) يراجع : مفردات الراغب ص ٨٢٥ " عين " والتحقيق في كلمات القرآن أ/ حسن المصطفوي ٨ / ٣٤٥ " عين " ط الأولى لمركز نشر آثار العلامة المصطفوي بطهران . إيران ١٣٩٣هـ.

(٢) مثل ما ورد في قوله تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [محمد ﷺ / ١٥].

وصفهم بقوله ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر : ٤٧].

ج- ويرى الإمام الرازي - رحمه الله تعالى - أن الإفراد إنما ورد للدلالة على اتصال الجنات وأشجارها وأنهارها حتى صارت بذلك كأنها جنة واحدة (١).

أما التثنية الواردة في آيتيْ سورة الرحمن فلموافقة ما قبلهما من قوله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٤٦] وقوله ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٢] والله أعلم.

وأما الجمع فباعتبار أن لكل واحد من أهل النعيم جنة وعيناً، وهذا بناءً علي قاعدة " تقابل الجمع بالجمع " فـ " جنات وعيون " تقابل " المتقين " وعليه فالاستغراق مجموعي، أو باعتبار أن لكل واحد منهم عدداً من الجنات، وعدداً من العيون، وعليه فالاستغراق إفرادي(٢).

وأرجّح الأخير لأن فضل الله واسع، لا يتوقف عند حد، ولا يحجر عليه أحد، والله أعلم.

الثالث: التعبير بحرف الجر " في " في قوله تعالى : " في جنات وعيون " واضح المعنى بالنسبة للجنات، أي أهل الجنة مستقرون في الجنات منعّمون فيها، وأما بالنسبة للعيون، فمعناه أحد أمرين :

أولهما : المراد أنهم في خلال العيون، وفيما بينها من اليابسة والمكان.

(١) يراجع : التفسير الكبير للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٦٠٦هـ) ٢٩/ ٧٠ بتصرف ط دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٠ م.

(٢) يراجع : عناية القاضي وكفاية الراضي المشتهرة بـ " حاشية الشهاب علي البيضاوي " للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري (١٠٦٩ هـ) ٥ / ٢٩٦ بتصرف كبير ط دار صادر بيروت.

ثانيهما : أو أن بالكلام حذفاً تقديره : في جنات وعند عيون، وذلك للمجاورة، كما في قوله: متقلداً سيفاً ورمحاً، والتقدير : وحاملاً رمحاً [1]، والله أعلم.

ثالثها : **منبع الماء الجاري وينبوعه**. [2]

كان من الممكن أن يُضم هذا المعنى الدلالي إلى السابق، لكني أفردت أهل الجنة بالذكر لأنهم أهل لذلك- كما مر – فضلاً عن البون الشاسع بين عيون الجنة وعيون الأرض فعيون الجنة فوق الوصف والإدراك، وعيون الأرض معلوم شأنها ووصفها.

والعيون : جمع عين، وهي (اسم لثقب أرضي يخرج منه الماء، وكثيراً ما يكون انفجارها بدون عمل الإنسان) [3] وقد يتدخل الإنسان في شيء فيها.

وألفيْت هذا المعنى وارداً في القرآن الكريم في ثمان آيات هن كما يلي :

١- قوله تعالى ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾ [البقرة / ٦٠]

٢- قوله تعالى ﴿ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ ﴾ [الأعراف : ١٦٠].

---

(١) يراجع : تفسير الرازي ٢٩ / ٢٣١، ولسان العرب ٢ / ٢٨٥ بتصرف كبير، وجملة "متقلداً سيفاً ورمحاً" شطْر بيت للشاعر لبيد بن ربيعة في معلّقته الشهيرة،ونصه: يا ليت زوجك قد غدا *** متقلداً سيفاً ورمْحاً (ويراجع:شرح المعلقات السبع للحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ص١٧٤، ط دار إحياء التراث بيروت٢٠٠٢م).

(٢) ممن ذكر هذا الوجه مع اختلاف في التعبير عنه : الحيري في وجوه القرآن ص ٣١١، والدامغاني في الوجوه والنظائر ص ٥٥٠، وابن الجوزي في النزهة ص ٢٧٦، والفيروز آبادي في البصائر ٤ / ٦، ومعجم اللغة العربية ٢ / ٤٤٧، و أ/ إبراهيم عبد الفتاح في القاموس القويم ٢ / ٤٦، ود/ أحمد مختار في كتابه : الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم ص ٥٤، ط عالم الكتب بالقاهرة ٢٠٠٣م..وغيرهم.

(٣) التحرير والتنوير للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) ١٣ / ٤٤ بتصرف كبير، ط مؤسسة التاريخ العربي بيروت ٢٠٠٠م.

٣- قوله تعالى ﴿ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء / ٥٧].

٤- قوله تعالى ﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء : ١٣٣/ ١٣٤]

٥- قوله تعالى ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء / ١٤٧].

٦- قوله تعالى﴿ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴾ [يس / ٣٤].

٧- قوله تعالى ﴿ كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الدخان / ٢٥].

٨- قوله تعالى ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر / ١٢].

وألاحظ علي هذه الآيات السابقة أموراً :

الأول : أن لفظ " العيون " فيها مسوق إما في مقام الامتنان والتذكير بنعمة العيون ومياهها، وإما في مقام التوبيخ والإنكار علي من لم يدرك قيمتها، وجحد حق المنعم فيها، وهذا مما يلفت الانتباه إلى عِظم هذه النعمة، ووجوب شكرها، فالشكر يزيد النعم.

الثاني : التعبير عن بعض العيون بالانفجار مرة، وبالانبجاس مرة أخري، والفرق بينهما أن الانفجار هو الانشقاق والتفَتّح، ومنه الفَجْر لانشقاقه بالضوء، ويُستعمل في انصباب الماء بكثرة، وفيما يخرج من شيء واسع (١).

أما الانبجاس فهو ابتداء الانفجار، ويدل علي مجرد ظهور الماء وخروجه، وأكثر ما يُستعمل فيما يخرج من شيء ضيق (٢).

لكن ما سر تخصيص سورة البقرة بالانفجار، وسورة الأعراف بالانبجاس ؟

---

(١) يراجع : اللباب في علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على بن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠هـ) ١ / ٤٦٤ بتصرف، ط العلمية بيروت، والبصائر ١ / ٩٧، ومفردات الراغب ص ١٠٨ " بجس ".

(٢) يراجع : المفردات ص ١٠٨ " بجس " وملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل لأبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (٧٠٨هـ) ١ / ٤٩ ط العلمية بيروت، والبصائر ١ / ٩٧.

والجواب عن ذلك من ثلاثة أوجه :

أ – أن السياق في سورة البقرة يفيد الثناء والمدح، والتفضّل علي بني إسرائيل بنِعَم شتى، وكان المناسب

لذلك ذِكْر كلمة تدل على الكثرة والقوة، وهي " الانفجار "، بينما سياق سورة "الأعراف" وارد في ذم بني إسرائيل وتوبيخهم، فكان من المناسب معه ذِكْر " الانبجاس " لأنه أقل من الانفجار (١).

ب – الوارد في " الأعراف " طلبُ بني إسرائيل من موسى عليه السلام السقيا، كما هو واضح من قوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ ﴾ [الأعراف /١٦٠] بينما الوارد في "البقرة" أن موسى عليه السلام هو الذي طلب السقيا من ربه عز وجل، كما يدل عليه قوله تعالى ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ [البقرة / ٦٠]، فطلَبُهم ابتداء، وهم أقل رتبة عند الله من موسى عليه السلام، فناسبهم " الانبجاس "، وطَلَب موسى عليه السلام غاية وانتهاء، فناسبه " الانفجار " (٢)، والله أعلم.

ج – أو أنه لما ذكر تعالى في " البقرة " لفظ " الشرب " في قوله ﴿ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة / ٦٠] وهو يحتاج إلي ماء أكثر، ناسب أن يذكر "

(١) يراجع : كشف المعاني في متشابه المثاني للإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن جماعة (٧٣٣ هـ) ص ٦٠ تح د/ محمد داود ط دار المنار بالقاهرة ١٩٩٨م، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٨٨٥هـ)٣ / ١٣٨ بتصرف كبير تح أ/ عبد الرازق المهدي ط العلمية بيروت ١٩٩٥م.

(٢) يراجع : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (٥٣٨هـ) ٤ / ٤٣٤ ط دار الكتاب العربي . بيروت ١٤٠٧هـ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للإمام محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠هـ)٥ / ١٤٨ ط دار القلم الطيب بيروت ١٤١٤هـ.

الانفجار " الذي يدل على الكثرة، ولـمّا لم يذكر " الشرب " في " الأعراف " ناسبه ذكْر " الانبجاس " الذي يدل على الماء الأقل (١).

الثالث : وألاحظ على الآيات أيضاً أن العيون كما تكون نعمة وسبباً لكل خير ورخاء، قد تكون نقمة وسبباً للهلاك والشقاء، وذلك كعيون نوح عليه السلام الواردة في قوله تعالى ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر:١١-١٥] وهو أبلغ من قوله " فجرنا عيون الأرض " لأنه في النظم القرآني كأنه جعل الأرض كلها عيوناً تتفجر، والله أعلم.

هذا ومما ينبغي أن يُلحق بهذا المعنى الدلالي: العين بمعنى (**المختلطة غير الصافية**) وهذا المعنى الدلالي ورد في آية واحدة هي قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ [الكهف / ٨٦].

والحَمْأة والحَمَأ : الطين الأسود المنتن، ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر / ٢٦]، ويقال : حَمَأت البئر : أي أخرجت حمأتهَا (٢).

والمراد : تغرب في عين مختلط ماؤها بالحمأة، فهو غير صاف (٣).

هذا والمتأمل في الآية يلحظ أمرين :-

الأول : أن ذكر لفظ " العين " هنا يدل على أن الماء (ماء نهر لا ماء محيط، لأنه ذَكر أنه عين، وماء العيون في أكثر أحواله ليس ماءً مالحاً، وإن كان فهو معدني إلى العذوبة أميل، ولأنه ذَكر أنها عين حمئة، أي اختلط ماؤها بطين، وهذه تكون في الأنهار لا في البحار) (٤).

---

(١)البرهان في متشابه القرآن للإمام محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (بعد ٥٠٠هـ) ص ١١٢ تح د/ أحمد عز الدين ط دار الوفاء بالمنصورة ١٩٩٨م.

(٢) مفردات الراغب ص ٢٥٩ " عين ".

(٣) التحرير والتنوير ١٥ / ١٢٧ بتصرف.

(٤) زهرة التفاسير لأبي زهرة ٩ / ٤٥٧٩.

الثاني : أن هذا المعنى الدلالي إنما استُفيد من الوصف المذكور للعين " حمئة " وذلك بخلاف غيره من المعاني فإنما تكون للفظ " العين " استقلالاً، كما رأينا ونرى بإذن الله تعالى.

هذا وقد قُرئ " حامية " على " فاعلة " من حَمِيتْ العين تَحْمَى فهي حامية : أي حارة، كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴾ [القارعة: ١٠، ١١].

وذَكَر القراءتين الإمام الطبري وجمع بينهما فقال (وهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار، ولكل منهما وجه صحيح... وذلك أنه جائز أن تكون الشمس تغرب في عين حارة ذات حمأة وطين) (١).

وسواء أكان غروب الشمس في ماء وطين حقيقيين أم كان لمجرد التمثيل والتوضيح فالمراد الإخبار عن ذي القرنين أنه بلغ ذلك المكان، وكان من شأنه ما قصه القرآن علينا، وأنه لا يستحيل في قدرة الله تعالى شيء، وعليه فلا يُستبعد أن يكون الماء والطين حقيقيين، وكذلك الشمس، والعلم عند الله تعالى.

(١) القراءتان سبعيتان، قرأ بالهمز " حمئة " ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم في رواية حفص، بينما قرأ عاصم في رواية أبي بكر وابن عامر وحمزة والكسائي " حامية " من غير همز. يراجع : الحجة في القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين أحمد بن خالوية (٣٧٠هـ) ص ٢٣٠ تح د/ عبد العال مكرم ط دار الشروق بيروت ١٤٠١هـ، والحجة للقراء السبعة للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الشهير بأبي علي الفارسي (٣٧٧هـ) ٥ / ١٦٩ تح أ/ عبد العزيز رباح وأ/أحمد الدقاق ط دار المأمون بدمشق ١٩٩٣م، والمبسوط في القراءات العشر لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري (٣٨١هـ) ص ٢٨٢ تح أ/ سبيع حاكيمي ط مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨١م.

رابعها : الحفظ والكلاءة. (١)

ورود لفظ " العين " بمعنى " الحفظ والكلاءة " معروف في اللغة ومستعمل فيها، ومن ذلك قولهم :

أنت علي عيني : أي في الإكرام والحفظ جميعاً، ومنه قول الله تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه/٣٩] وعدوا مثل هذا الوجه من المجاز (٢).

ومن خلال تتبع الآيات القرآنية واستقرائها نجد أن هذا المعنى لم يرد في القرآن إلا مقصوداً به " حفظ الله تعالى ورعايته " وجاءنا هذا المعنى في أربع آيات هن :

١- قوله تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ [طه / ٣٩].

٢- وقوله تعالى ﴿ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [المؤمنون / ٢٧].

٣- وقوله تعالى﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [الطور / ٤٨].

٤- وقوله تعالى ﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمر / ١٤]

وألحظ هنا أن لفظ " العين " جاء مفرداً مع الكليم موسي عليه السلام، ومع إفراد الضمير في " عيني " بينما ورد مجموعاً مع سيدنا نوح عليه السلام وخاتم المرسلين ﷺ مع جمع الضمير في " أعيننا " فما السر في هذه المغايرة ؟

---

(١)ممن أشار إلى هذا الوجه : الدامغاني في الوجوه ص ٥٥ واقتبست منه هذا العنوان المذكور، وابن الجوزي في النزهة ص ٢٧٦، وصاحب البصائر ٤ / ٥، وصاحب القاموس القويم ٢ / ٤٥، ومعجم اللغة العربية ٢ / ٤٤٧ معبراً عنه **بالباصرة**، واستدل بقوله تعالى ﴿ **وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ** ﴾ وقوله ﴿ **وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا** ﴾ وأرى أن هذا التعبير لا يليق أبداً مع مقام الله تعالى، حيث لا يجوز التعبير في حقه تعالى بما يُعبر به عن البشر كالباصرة ونحوها، لأنه تعالى منزه عن ذلك فهو ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى / ١١].

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ) ٦ / ٢١٧١ تح أ/ أحمد عبد الغفور عطار ط دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٧م، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ٤ / ٢٥٣ " عين ".

والجواب عن الجمع من عدة أوجه :

أولها : أن الجمع بالنسبة لنبينا ﷺ للمبالغة في التمثيل،كأن الملاحظة بأعين عديدة، وكأن معه حفاظاً من الله تعالى كثيرين يكلأونه بأعينهم، وهو من قبيل قوله تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات / ٤٧] (١).

ثانيهما : أو أن الجمع للدلالة علي كثرة أسباب الحفظ، مع تعدد متعلقات الملاحظة، فملاحظة للذبّ عنه، وملاحظة لزيادة الثواب ورفع الدرجة، وملاحظة لتهيئته وإعداده بما يواجهونه، وتصبيره علي المكايد، ومشاق التكاليف والطاعات، وملاحظة لنصره عليهم بعموم الإيمان به ﷺ... ونحو ذلك، فناسب هذا كله الجمع لأنها أفعال كثيرة ومتنوعة (٢).

ثالثها : أن الجمع بالنسبة لسيدنا نوح عليه السلام فللمبالغة، أو لتعدد متعلقات الحفظ أيضاً لأن عناية الله بأهل السفينة تتعدد، بإجرائها، وتجنيب الغرق عنها، واختيار الوقت والمكان المناسبيْن لإرسائها، وسلامة الركاب في هبوطهم ونزولهم منها... (٣)، ونحو ذلك.

رابعها : وأُضيف أن الجمع بالنسبة لسيدنا نوح عليه السلام، لبيان عظم شأن السفينة لأنها تحمل على متنها من يعمر الأرض، وكل ما يعيد الحياة فيها من جميع الأشياء، والله أعلم.

---

(١) يراجع : التحرير والتنوير ٢٧ / ٩٢ بتصرف، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (١٢٧٠هـ) ١٤/ ٤٠ تح أ/ على عطية ط العلمية بيروت ١٤١٥هـ.

(٢) يراجع : الكشاف ٤ / ٤١٥، وروح المعاني ١٤ / ٤٠، والتحرير والتنوير ٢٧ / ٩٢ بتصرف، والتفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري ٩ / ١٠١ تح أ/ غلام بني التونسي ط المكتبة الرشدية باكستان ١٤١٢هـ.

(٣) التحرير والتنوير ٢٧ / ٩٢ بتصرف.

هذا وإن سبب مجيء الضمير مجموعاً في " أعيننا " الدلالة علي (التعظيم أو لمناسبة جمع الأعين، أو لتقوية المعني، وذلك لقوة الجمع عن المفرد) (١).

وأما بالنسبة للإفراد في كلمة " عيني " مع الكليم موسى- عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام – فلأجل إفراد تعلق الحفظ والفعل، وهو كلاءته عليه السلام (٢)، أو مَشْي أخته إلي آل فرعون، وإخبارهم بقولها﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ ﴾ [القصص / ١٢] (٣)، وجاء الضمير مفرداً في " عيني " تبعاً لذلك، والله أعلم.

ومن خلال التأمّل في آية الطور الواردة في حق نبينا ﷺ نلمس علو قدره عند ربه سبحانه وتعالى،ورفعة شأنه لديه عز وجل، حيث ورد الضمير معه مجموعاً، بينما ورد ضميره عز وجل مفرداً في آية "طه " حينما كان الكلام عن سيدنا موسى عليه السلام.

وفي ذلك يقول الآلوسي (ومن ينظر بعين بصيرته علم من الآيتين الفرق بين الحبيب والكليم، عليهما أفضل الصلاة وأكمل التسليم) (٤).

خامسها : المنظر والمشهد (٥).

من معاني " العين " المنظر والمشهد، حيث ورد هذا المعني في القرآن الكريم في موضع واحد، هو قوله تعالى ﴿ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ [الأنبياء / ٦١].

---

(١) يراجع : الكشاف ٤ / ٤١٥، والرازي ٢٨ / ٢٢٩، والتحرير والتنوير ٢٧ / ١٧٨، والتفسير المظهري ٩ / ١٠١.... وغيرها.

(٢) روح المعاني ١٤ / ٤٠ بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير ٢٧ / ٩٣ بتصرف.

(٤) روح المعاني ١٤ / ٤٠ بتصرف.

(٥) ذكر هذا الوجه مع تغاير في التعبير : الدامغاني ص ٥٥٠، وابن الجوزي ص ٢٧٦، والفيروز آبادي ٤ / ٥.

من المعلوم أن الآية واردة في سياق قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، ودعوته قومه لنبذ عبادة الأصنام، وكان من أمره معهم ما قصه الله تعالى علينا في كتابه.

وجل المفسرين على أن المراد بالأعين هنا " المنظر والمشهد "، والمعنى : فأتوا به على مرأى من الناس، ومنظر منهم لعلهم يشهدون عقوبته فينزجر غيره ممن يفكر في ذلك،أو يشهدون على فعله وقوله(١).

والتعبير بحرف الاستعلاء في قوله " على أعين " وارد علي طريق المَثل، أي : يثبت إتيانه في الأعين، ويتمكن فيها ثبات الراكب علي المركوب، وتمكنه منه (٢).

والمراد : يأتي جهرة والناس ينظرون إليه نظراً لا خفاء معه، حتى كأنه ماشٍ علي أبصارهم، متمكن منها تمكن الراكب على مركوبه.

وعبّر بالعين دون البصر ليُفهم أن المقصود الأكابر وأعيان القوم، وعبّر بجمع القلة " أعين " مع أن السياق يدل علي الكثرة لإفادة الأمرين معاً، فيكون المقصود بالقلة الأعيان والأكابر، والكثرة عموم الناس، ولئلا يتوهم من جمع الكثرة عند التعبير به جميع الناس مطلقاً (٣)، والله أعلم.

---

(١) يراجع : جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (٣١٠هـ) ١٨ / ٤٦١ تح الشيخ / أحمد شاكر ط الرسالة بيروت ٢٠٠٠م، والكشاف ٣ / ١٢٤، وتفسير الرازي ٢٢ / ١٥٥، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الشهير بالقرطبي (٦٧١هـ) ١١ / ٢٩٩ تح أ/ سمير البخاري ط عالم الكتب بالرياض ٢٠٠٣م، وتذكرة الأريب في تفسير الغريب لجمال الدين عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي (٥٩٧هـ) ص ٢٣٨ تح أ/ طارق السيد ط العلمية بيروت ٢٠٠٤م.... وغيرها

(٢) الكشاف ٣ / ١٢٤.

(٣) يراجع : نظم الدرر للبقاعي ١٢ / ٤٣٩ بتصرف، والسراج المنير لمحمد بن أحمد الشهير بالخطيب الشربيني (٩٧٧هـ) ٢ / ٥٦٤ بتصرف ط العلمية . ببيروت بدون.

سادسها : ذات الشيء وعينه (١):

من المعاني اللغوية للفظ " العين " : ذات الشيء وعينه، ومن ذلك قولهم : قابلت الرئيس بعينه، أي بشخصه وذاته.

وهذا المعني ورد في القرآن الكريم في موطن واحد أيضاً هو قوله تعالى ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر / ٥ : ٧] ففي الآية الأخيرة أضيف " اليقين " إلى لفظ "العين" وتكاد تتفق كلمة المفسرين (٢)– رحمهم الله تعالى – على أن المراد بعين اليقين هنا: الرؤية والمشاهدة بالعين التي هي نفس اليقين، حيث إن علم المشاهدة أقصى مراتب اليقين.

وفي ذلك يقول صاحب " زاد المسير " (قوله " لترونّها عين اليقين " أي مشاهدة، فكان المراد بـ " عين اليقين " نفسه لأن عين الشيء ذاته) (٣).

والمراد باليقين هنا : اليقين الذي لا يشوبه تردد، ولفظ العين مجاز عن حقيقة الشيء الخالصة غير الناقصة ولا المشابهة (٤).

---

(١) أشار إلى هذا الوجه الفيروز آبادي في البصائر ٤ / ٧، وسماه بـ (العين الضروري)، وأشار إليه أيضاً معجم اللغة العربية ٢ / ٤٤٦، والقاموس القويم ٢ / ٤٥، ومعجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ص ٧٣٦... وغيرها.

(٢) يراجع على سبيل المثال : الكشاف ٤ / ٧٩٢، وزاد المسير في علم التفسير للإمام جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (٥٩٧هـ) ٤٨٦/٤ تح أ/ عبد الرزاق المهدي. ط دار الكتاب العربي بيروت ١٤٢٢هـ، والبحر المحيط للإمام محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (٧٤٥هـ) ١٠ / ٥٣٧ تح أ/ صدقي جميل ط الفكر بيروت ١٤٢٠هـ، ونظم الدرر ٨ / ٥١٩، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم للإمام محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الشهير بأبي السعود (٩٨٢هـ)٩ / ١٩٦. ط دار إحياء التراث العربي بيروت... وغيرها.

(٣) يراجع : تفسير الرازي ٣٢ / ٢٧٣، ومراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد لمحمد بن عمر نووي الجاوي (١٣١٦هـ) ٢ / ٦٦٠ تح أ/ محمد الضنّاوي ط العلمية بيروت ١٤١٧هـ.

(٤) التحرير والتنوير ٣٠ / ٥٢٣.

وفائدة تخصيص الآية الثانية باليقين في قوله " ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ " الدلالة على أنهم رأوا في المرة الأولى لهباً لا غير، وفي المرة الثانية رأوا نفس الحفرة وكيفية السقوط فيها، ولا شك أن هذه الرؤية أجلى، والحكمة في النقل من العلم الأخفى إلى الأجلى التقريع على ترك النظر لأنهم كانوا يقتصرون علي الظن، ولا يطلبون الزيادة (١).

ويجدر بالبحث في هذا المقام أن يورد ما ذكره العلماء في بيان "درجات اليقين" وأنها ثلاث :

الأولى : علم اليقين.

والمقصود به يقين الخبر، وهو سكون القلب إلي خبر المخبِر ووثوقه به، واطمئنانه إلى صدقه بالدليل الجازم.

الثانية : عين اليقين.

والمقصود : يقين الرؤية والمشاهدة، وهو ما استغنى به صاحبه عن طلب الدليل لأنه يراه رأي العين، وفي هاتين الدرجتين يقول الله تعالى﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ [التكاثر/٥ - ٧].

الثالثة : حق اليقين.

والمراد به يقين المباشرة والوجدان، وهو : مباشرة الشيء بالإحساس به وذوقه ووجدانه، وهذا ما أخبر الله تعالى عنه بقوله ﴿ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴾ [الواقعة / ٩٢-٩٥] .

وللتوضيح : نذكر أن علمنا الآن بالجنة والنار يسمى علم اليقين، فإذا أُزلفت الجنة للمتقين وشاهدها الخلائق، وبُرزت الجحيم للغاوين وعاينها الناس، فذلك عين اليقين،

(١) تفسير الرازي ٣٢ / ٢٧٣ بتصرف.

فإذا أُدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، فذلك حينئذ حق اليقين (١)، والله أعلم.

سابعها : القلب أو البصيرة.

من المعاني القرآنية للفظ " العين " أيضاً " القلب "كما ذكره ابن الجوزي (٢)، أو " أعين

القلب "كما ذكره غيره من العلماء (٣)، أو "البصيرة"كما أشار إليه ابن عطية (٤)رحم الله الجميع.

وهذا المعنى ورد في موطن واحد، هو قوله تعالى ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ [الكهف / ١٠٠، ١٠١].

---

(١) يراجع : الزهد والورع والعبادة لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (٧٢٨هـ) ص ٧٧ تح أ / حماد سلامة وآخر ط مكتبة المنار بالأردن ١٤٠٧هـ، ومجموع الفتاوى له أيضاً ١٠ / ٦٤٥ تح أ/ عبد الرحمن قاسم ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة ١٩٩٥م، ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ٢ / ٣٧٨ وما بعدها بتصرف وتلخيص، تح الشيخ / محمد المعتصم بالله ط الكتاب العربي بيروت ١٩٩٦م، وبصائر ذوي التمييز ٥ / ٣٩٩ " يقن " ومعجم الفروق الدلالية د/ محمد محمد داود ص ٣٤٩، ٣٥٠ ط دار غريب للطباعة بالقاهرة ٢٠٠٨م " حرف العين ".... وغيرها.

(٢) في نزهة الأعين النواظر ص ٤٤٤ (باب العين).

(٣) يراجع : وجوه القرآن لإسماعيل الحيري ص ٣١١، ومن المفسرين أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي (٤١٢هـ) في كتابه حقائق التفسير ١ / ٤١٧ تح أ/ سيد عمران ط العلمية بيروت ٢٠٠١م، وابن عطية ٣ / ٥٤٥، وأبو السعود ٥ / ٢٤٧، وابن عاشور ١٦ / ٤٢، وأبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر الجزائري في أيسر التفاسير لكلام العلي القدير ٣ / ٢٨٦ ط مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة ٢٠٠٣م، والتفسير الواضح د/محمد محمود حجازي ٢ / ٤٣٩ ط دار الجيل الجديد القاهرة... وغيرها.

(٤) في تفسيره كماسنرى نص كلامه فيما يلي.

والآية الكريمة واردة في سياق الحديث عن الكافرين، وما ينتظرهم في الآخرة بسبب كفرهم، وعدم انتفاعهم بشيء من الآيات والهدى.

وإنما رجّحتُ أن " العين " هنا بمعنى " القلب " أو أعين القلب والبصائر، وذلك لورود كلمة"ذِكْرِى" في الآية، حيث إن الجارحة لا علاقة بينها وبين الذِكْر، وهذا يرجّح أن المراد القلب، وفي ذلك يقول ابن عطية (قوله " أعينهم "كناية عن البصائر، لأن عين الجارحة لا نسبة بينها وبين الذكر، والمعنى : الذين أفكارهم بينها وبين ذكري والنظر في شرعي حجاب) (١).

وهذا الغطاء المذكور يكون للقلب أولاً ثم يسري منه إلي العين (٢)، فينتج عنه عدم فهم للقرآن وتدبره وسائر الآيات، ويؤكّد هذا المعنى قوله تعالى ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾ [الحج/٤٦] والله أعلم.

حيث يدل على أن أعين قلوبهم كأنها مغلَّفة بغلاف حَجَب عنها الاهتداء، فكأن هذا الغطاء صار ظرفاً لها وهي مظروفة فيه، لا ينفك أحدهما عن الآخر، وهذا بسوء اختيارهم وصنيعهم، ولا يظلم ربك أحداً، والله أعلم.

ثامنها : ما يسيل بغير ماء. (٣)

ورد هذا المعنى الدلالي في موطن واحد، هو قوله تعالى ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ [سبأ / ١٢].

---

(١) المحرر الوجيز ٣ / ٥٤٥ بتصرف.

(٢) يراجع : التفسير القيم للإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية (٧٥١هـ) ١ / ٣٦٨ تح مجموعة بإشراف الشيخ / إبراهيم رمضان ط مكتبة الهلال بيروت ١٤١٠هـ.

(٣) أشار معجم ألفاظ القرآن لمجمع اللغة العربية إلى هذا المعنى، فجعلته عنواناً (يراجع : المعجم ٢ / ٤٤٦ " عين ") وذكره صاحب البصائر ٤ / ٦، بعنوان : النحاس الجاري معجزاً لسليمان عليه السلام.

والآية واردة في سياق قصة سيدنا سليمان عليه السلام، وبيان بعض نعم الله تعالى، والتي منها إسالة عين القطر له.... إلى غير ذلك.

وقوله " أسلنا " أي : أذبْنا، والإسالة في الحقيقة حالة في القطر تحصل بعد الإذابة، وجُعل اسماً للماء الذي يأتيك، ولم يصبك مطره، قال تعالى﴿ فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ [الرعد / ١٧] (١).

وتكاد كلمة المفسرين واللغويين تتفق علي أن المراد بـ " القطر ": النحاس المذاب مأخوذ من قَطَر الشيء يَقْطُر قَطْراً وقَطْرَاناً، وسُمي قِطْراً لأنه إذا أُذيب قَطَر كما يقْطُر الماء (٢).

وقال بعضهم : القِطْر الفِلِز كله من النحاس والحديد والرصاص وما جري مجراها، كان يسيل لسليمان عليه السلام منه عيون (٣).

وأميل إلى ما رجحه الجمهور، وأن المراد بيان أنه تعالى كما ألان الحديد لداود عليه السلام أسال لابنه سليمان عليه السلام النحاس، وجعله مذاباً، فنبع نبوع الماء من الينبوع، ولذلك سماه عيناً باسم ما آل إليه، كما قال تعالى﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾[يوسف/٣٦](٤).

ونلمح من التعبير عن الحديد بالإلانة في قوله تعالى :﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴾ [سبأ / ١٠] وعن النحاس بالإسالة هنا في قوله ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ أن فيه إشارة إلى اختلاف طبيعتي الحديد والنحاس، وأن الحديد يمكن تشكيله بالطرْق عليه إذا سُخن ولان، أما النحاس فلا يُنتفع به إلا بعد أن ينصهر، ويتحول إلي مادة

(١) مفردات الراغب ص ٣٧٧ " سال " بتصرف.

(٢) يراجع : جمهرة اللغة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ) ٢ / ٧٥٨ تح أ/ رمزي بعلبكي ط دار العلم للملايين ١٩٨٧م، والقرطبي ١١ / ٦٢، والكشاف ٣ / ٥٧٢، وروح المعاني ١١/ ٢٩١..وغيرها.

(٣) المحرر الوجيز ٤ / ٤٠٩ بتصرف.

(٤)تفسير المراغي للإمام أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ) ٢٢ / ٦٦ ط مصطفى الحلبي ١٩٤٦م.

أقرب ما تكون إلي السوائل، وهذا ما نجده أيضاً في قوله تعالى على لسان ذي القرنين ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ [الكهف / ٩٦] (١)، والله أعلم.

تاسعها : منبع بعض شراب أهل النار.

ورد هذا المعنى الدلالي في آية واحدة أيضاً هي قوله تعالى في شأن أهل النار تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ [الغاشية / ٤، ٥].

عنونت بهذا العنوان " منبع " لأن الآية ذُكر فيها لفظ العين، والعين : ينبوع الماء (٢)كما مر، وذكرت البعض في " بعض شراب أهل النار " لأن هذه العين ليست وحدها شراب أهل النار، بل شرابهم الحميم والغسَّاق... وغيرها، مما أخبرنا به الشرع الحنيف، ونسأل الله تعالى جميعاً الفوز بالجنة والنجاة من النيران، اللهم آمين.

وذكر غير واحد من المفسرين أنها عين ماء (٣)، وأنها تنبع من النار بقدرة الله تعالى، ولكن بلغ ماؤها في الحرارة المتناهية مبلغاً عظيماً.

والمراد بالعين الآنية : المتناهية في الحَرّ، والآنيّ : الذي قد انتهي حره، من الإيناء بمعني التأخّر، يقال : آناه يُؤْنيه إيناءً، أي : أخّره وحبسه، وقوله ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ [الرحمن / ٤٤]، أي : بلغ إناه من شدة الحر (٤).

وقيل : آنية أي حاضرة، **والأول هو الراجح** لأمرين :

الأول : هو الذي يوافق القرآن الكريم، من وصف شراب أهل النار في قوله تعالى " يطوفون بينها وبين حميم آن ".

---

(١) التفسير القرآني للقرآن د/ عبد الكريم الخطيب (بعد ١٣٩٠هـ) ١١ / ٧٨٨ بتصرف ط دار الفكر العربي بالقاهرة.

(٢) تفسير المراغي ٣٠ / ١٣٠.

(٣) يراجع : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لأبي العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الفاسي (١٢٢٤ هـ) ٧ / ٢٩٢ تح د/ أحمد القرشي ط الكتب العلمية . بيروت ١٤١٩هـ، وتفسير المراغي ٣٠ / ١٣٠، والتفسير الوسيط د/محمد طنطاوي ١٥ / ٣٧٤ ط دار نهضة مصر بالفجالة ١٩٩٨م، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د/وهبة الزحيلي ٣٠ / ٢٠٥ ط الفكر المعاصر بدمشق ١٤١٨هـ.... وغيرها.

(٤) يراجع : المفردات ص ٩٦ " أنا " واللسان ٤ / ٤٩ " أني "، وفتح القدير ٥ / ٥٢١.

الثاني : تفسير " آنية " بالحاضرة ليس فيه بيان معنى ما في تلك العين من أنواع الشراب المعدّ والمحضّر لهم (١)، بخلاف ما لو فُسرت بالذي بلغ الغاية في الحرارة، والله أعلم.

عاشراً : اتساع العين وجمالها.

من مشتقات مادة " عَيَن " مجيئها في القرآن الكريم بكسر العين " عِين " وصفاً للحور العين، والعِين في الأصل جمع " عَيْناء " وهي المرأة واسعة العَيْن، وهو وصف كذلك للبقر الوحشي.

وورد هذا الوصف في القرآن للحور العين في أربع آيات هي :

١- قوله تعالى ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾ [الصافات / ٤٨].

٢- وقوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان / ٥٤].

٣- وقوله تعالى ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الطور / ٢٠].

٤- وقوله تعالى ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴾ [الواقعة / ٢٢، ٢٣].

والمتأمل في هذه الآيات الكريمة يلحظ أمرين :

الأول : أن الله تعالى وصف الحور فيها بأنهن " عِين " وهذا الوصف فَسَّره العلماء بتفسيرين :

أ – اتساع العين وكبرها مع حسنها وجمالها، ومن ذلك قولهم : امرأة عيناء، وهي الواسعة العين ويقال ذلك لبقر الوحش، ومنه أيضاً : رجل أعْين إذا كان ضخم العين واسعها (١).

(١) يراجع : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ / محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ) ٨ / ٥١٤ ط دار الفكر بيروت ١٩٩٥م.

ب – شدة سواد الحدقة، مع شدة بياض ما حولها، وهذا يضفي على العين حسناً وبهاءً، ومنه قولهم : شاة عيناء، إذا اسودّ عينتها، وابيضّ سائرها (٢)، ولا مانع أن يجمع الله تعالى للحور العين هذين الوصفين وأكثر، بل وأعظم من ذلك إكراماً لأهل النعيم، فاللهم اجعلنا منهم أجمعين.

الثاني: أنه تعالى وصفهن في بعض الآيات بأنهن " قاصرات الطرف " ثم وصفهن ثانية بأنهن " عِين " وكأن الوصف الأخير وارد هنا على سبيل " الاحتراس " (٣)، حيث إنه سبحانه لما وصفهن بأنهن قاصرات الطرف لشدة عفتهن وحيائهن – لا من ضعف في العيون أو لعيب فيها – فلما وصفهن بالوصف الأول احترس بالوصف الثاني حتي لا يُظن بهن أي نوع من أنواع العيب، يسبب لهن قَصْر النظر (٤)، مع تشبيهن في بقية الآيات بالبيْض أو اللؤلؤ المكنون، وهذا فيه من كمال الجمال والنضارة

---

(١) يراجع : العين للجليل ٢ / ٢٥٥ وتهذيب اللغة ٣ / ١٣١، ولسان العرب ١٣ / ٣٠٢ " عين ".

(٢) يراجع : لسان العرب ١٣ / ٣٠٢، وتهذيب اللغة ٣ / ١٣١، والمفردات ص ٥٩٩ " عين "، والطبري ٢١ / ٤٢، ٢٢ / ٤٦٧،والبحر المحيط ٩ / ١٠١، والجواهر الحسان في تفسير القرآن لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (٨٧٥هـ) ٥ / ٢٩ تح الشيخ / محمد معوض، ط إحياء التراث العربي بيروت ١٤١٨هـ..وغيرها.

(٣) **الاحتراس** هو : أن يؤتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفع ذلك الوهم، وسُمى بذلك لأن فيه التوقي والاحتراز عن توهم خلاف المقصود، ويسمى بـ " **التكميل** " أيضاً، ومثاله ما سبق وجملة "لايشعرون" في قوله تعالى﴿ **لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [النمل / ١٨] (يراجع : الإيضاح في علوم البلاغة لأبي المعالي محمد بن عبد الرحمن جلال الدين القزويني (٧٣٩هـ) ٣ / ٢٠٨ تح أ/ محمد خفاجي ط الجيل بيروت، والكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (١٠٩٤هـ) ص ٥٥ تح أ/ عدنان درويش وآخر ط الرسالة بيروت).

(٤) القاموس القويم أ/ عبد الفتاح إبراهيم ٤٦/٢ بتصرف.

ما فيه، وهذا غيض من فيض، وقليل من كثير، مما لم تره عين، أو تسمع به أذن، أو يخطر علي قلْب بشر، فاللهم اجعلنا من أهل فضلك ورضوانك أجمعين.

حادي عشرها : الظهور والجريان.

من المواد الاشتقاقية الواردة في القرآن الكريم للفظ " العين " أيضاً كلمة " معين "، وهذا اللفظ ورد في القرآن أربع مرات هن كما يلي :

١- قوله تعالى ﴿ وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ [المؤمنون / ٥٠].

٢- وقوله تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الصافات / ٤٥].

٣- وقوله تعالى ﴿ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴾ [الواقعة / ١٧، ١٨].

٤- وقوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾ [الملك / ٣٠].

اختلف العلماء في بيان المراد بكلمة " معين " وسبب التسمية إلي أقوال أهمها ما يلي:

أ – أنه الظاهر للعيون، وُصف بما يوصف به الماء لأنه يجري في الجنة في أنهار كما يجري الماء [١].

ب – أنه الماء الجاري شديد الجري، ومنه قولهم : أمعن في السير إذا اشتد فيه [٢].

جـ – أنه ما مَدّته العيون فاتصل ولم ينقطع لأنه ليس من عمل البشر [٣].

---

(١) الكشاف ٤ / ٤٢ والرازي ٢٦ / ٣٣٢.

(٢) الرازي ٢٦ / ٣٣٢، والنكت والعيون لأبي الحسن على بن محمد الشهير بالماوردي (٤٥٠هـ) ٥ / ٤٦ تح أ / السيد عبد المقصود، ط العلمية. بيروت.

(٣) الرازي ٢٦ / ٣٣٢، الماوردي ٥ / ٤٦، وبيان المعاني لعبد القادر بن ملا حُويّش آل غازي (١٣٩٨ هـ) ٢ / ٢٤١ ط الترقي بدمشق ١٣٨٢هـ.

و – أنه الكثير، مأخوذ من " المعين "، وهو الشيء الكثير(١).

هـ – أنه المنتفع به، مأخوذ من الماعون (٢).

وأرجِّح من هاتيك الآراء أولها وثانيها لأمرين :

الأول : أن جمهور المفسرين عليهما، حتى استنبط أحدهم قاعدة كلية في ذلك فقال :كل "مَعِين" في القرآن فهو جارٍ، غير الذي في " تبارك الذي بيده الملك " يعني به زمرم ظاهراً تناله الدلاء (٣)، مع إمكان اجتماع الصفات المذكورة بعدُ لهذا الماء.

الثاني : أن المتفضّل بهذا الماء هو الله تعالى، ولا حرج علي فضل الله الكريم في أن يجمع هذين الوصفين وأكثر في ماء واحد، والله أعلم.

والملاحظ علي الآيات الكريمة أمران :

أولهما : أن وصف "معين" ورد في آيتين وصفاً للكأس المملوءة بخمر الجنة، وفي آيتين أُخرَتْين وصفاً لما في الدنيا من ماء ربوة عيسي عليه السلام وأمه، وماء الدنيا الذي يمتن الله تعالى به علينا، ولو ذهب ما يستطيع أحد الإتيان به سوى الله عز وجل.

ثانيهما : أن خمر الجنة وُصفت بأنها من معين إما من ظهورها للعين أو لشدة جريها (٤)، فسبحان من أجرى لأهل الجنة أنهاراً من خمر، ظاهرة للعيون غير خافية، فاللهم اجعلنا منهم أجمعين.

---

(١) الماوردي ٥ / ٤٦.

(٢) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (٢٠٧هـ) ٢ / ٢٣٢ تح أ/ محمد النجار وآخرين، ط الدار المصرية للتأليف بالقاهرة.

(٣) يراجع : تفسير مقاتل بن سليمان لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (١٥٠هـ) ٤ / ٢١٧ تح د/ عبد الله شحاته، ط دار إحياء التراث بيروت ١٤٢٣ هـ.

(٤) إيجاز البيان عن معاني القرآن لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري (ت نحو ٥٥٠هـ) ٦٩٨ بتصرف تح د/ حنيف القاسمي، ط دار الغرب الإسلامي. بيروت ١٤١٥هـ.

المطلب الثالث : وقفة تأمل مع هذه الدلالات القرآنية.

من خلال ما سبق تبين لنا أن مادة "ع ي ن " بمشتقاتها تأتي في لغة القرآن الكريم على اثنتي عشرة دلالة، وعند التأمل في هذه الدلالات والمعاني المختلفة نجد أنه يمكن أن تُرد إلي معنى واحد محوري، تدور حوله هذه المادة بجميع مشتقاتها، وهو المعنى الأصيل لهذه المادة، وهو " **الباصرة** " أو ما يمكن أن يُعبر عنها بـ (الدائرة التي ينفذ منها لطيف لامع، دائم الجريان) [1] وهذا هو المعنى الأول، ورَدُّ المعنييْن الثاني (**منبع مياه أهل الجنة**) والثالث (**منبع الماء الجاري وينبوعه**) إلي هذا الأصل واضح، حيث إن كلاً منهما اسم لما يكون فيه الماء، إلا أن الثاني اسم لما يكون في الجنة، والثالث لما يكون في الأرض، مع مشابهة كل منهما للباصرة في وجود الماء مع الصفاء والنقاء، وفي ذلك يقول ابن فارس عن عين الماء (وإنّما سُميت عيناً تشبيهاً لها بالعين النّاظرةِ لصفائها ومائها) [2].

أما المعني الرابع (**الحفظ والكلاءة**) والمعنى الخامس (**المنظر والمشهد**) فالباصرة أصل فيهما وسبب أوّلي لهما، وقد يكون الحفظ بأشياء أخرى، إلا أن الجارحة تُقدم عليها، لذا ما رأينا وما سمعنا عن حارس فاقد لها، وإلا فكيف تتأتى الحراسة أو الحفظ والكلاءة منه وهو كذلك، أما المنظر والمشاهدة فلابد أن يكونا بالباصرة ليس إلا، ولا يتأتّيان أيضاً لأحد من الناس فاقد لها، هذا بالنسبة للبشر، أما بالنسبة لخالق القُوى والقُدَر سبحانه وتعالى أقول: الحفظ والكلاءة في حقه تعالى متعلقان بكونه جل وعلا بصيراً يرى خلقه ويطلع على أفعالهم، يراهم بعينه التي

---

(١) **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم أ.د/ محمد حسن جبل 3/ 1535 ط مكتبة الآداب بالقاهرة 2010م.**

(٢) معجم مقاييس اللغة ٤/٢٠٠.

أثبتها لنفسه، دونما تشبيه أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل، ويكلؤهم برعايته وحفظه.. والله أعلم.

والسادس (**ذات الشيء وعينه**) يشبه العين من حيث إنها هي المقصود الأهم من كل شيء، فلا شك أن الناس غالباً يفضّلون المبصر على غيره.وذات الشيء وعينه على بديله أو ما ينوب عنه..

والسابع (**القلب أو البصيرة**) يشبه الباصرة في كونه أهم الأعضاء، فبصلاحه صلاحها، والعكس كذلك، فكما أن العين أهم الجوارح فالقلب أهم الأعضاء.

والمعنى الثامن (**ما يسيل بغير ماء**) والمعنى التاسع (**منبع بعض شراب أهل النار**) وجه الشبه فيهما ظاهر من حيث إن كلاً عين بها سائل لطيف . من شأنه الجريان . لكنه ليس بماء

والعاشر(**اتساع العين وجمالها**) فظاهر في كونه وصفاً من أوصاف الباصرة في حسنها وجمالها عند اتساعها، والحادي عشر (**الظهور والجريان**) فوجه الشبه فيه جليّ ظاهر، فأما الظهور فلأن العين بادية ظاهرة، حيث إنها من أعضاء الوجه، وهو مما يواجه به، وأما الجريان فوصف أصيل من أوصافها، والله أعلم.

وأختم بهذا التعليق المجمل للإمام الراغب على معاني (العين) وردّها إلي أصل واحد وهو(الباصرة) أيضاً حيث يقول في مادة (عين) :

(العَيْنُ الجارحة...ويستعار الْعَيْنُ لمعان هي موجودة في الجارحة بنظرات مختلفة. واستعير للثّقب في المزادة[1] تشبيهاً بها في الهيئة...وقيل للمتجسّس : عَيْنٌ تشبيهاً بها في نظرها، وقيل للذّهب : عَيْنٌ تشبيهاً بها في كونها أفضل الجواهر، كما أنّ هذه

(١) المزَادة بفتح الميم والزاي: وعاء يُحمل فيه الماء في السفر كالقربة ونحوها (يراجع : المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤٠٩/١ تح أ / إبراهيم مصطفى وآخرين ط دار الدعوة بالقاهرة).

الجارحة أفضل الجوارح، ومنه قيل : أَعْيَانُ القوم لأفاضلهم، قال بعضهم : الْعَيْنُ إذا استعمل في معنى ذات الشيء فيقال : كلُّ ما لَه عَيْنٌ، فكاستعمال الرّقبة في المماليك، وتسمية النّساء بالفرج من حيث إنه هو المقصود منهنّ، ويقال لمنبع الماء : عَيْنٌ تشبيهاً بها، لما فيها من الماء، ومن عَيْنِ الماء اشتقّ : ماء مَعِينٌ، أي : ظاهر للعيون، وعين أي : سائل، قال تعالى﴿ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴾ [الإنسان: ١٨]..)[1]

(١) المفردات ص٥٩٩ بتصرف.

المطلب الرابع : مرادفات "العين" وما يقارنها والاستعمال القرآني لها .

تمهيد : من مقتضيات الدراسة الموضوعية في القرآن الكريم الإشارة إلى الألفاظ المرادفة للفظ محل الدراسة وما يقارنه، ومعرفة ملابسات الاستعمال القرآني لها، إثراء للبحث وتكثيراً للفائدة، وحتى لا يطول بنا البحث سأقتصر هنا على سرد هذه المرادفات والتفرقة بينها، تاركاً التعليق المفصّل على الآيات القرآنية مكتفياً ببيان الملامح العامة للاستعمال القرآني لهذه الألفاظ. وأولها :-

أ- الطَـرْف.

من الألفاظ التي يستعملها القرآن الكريم مرادفة للفظ "العين" كلمة "طرْف"، حيث ورد
استعمال القرآن لها في ستة مواطن [1] والعلماء في بيان معنى "الطرْف" على ثلاثة معانٍ:

الأول : تحريك جفنيْ العين لإطباقهما عليها.
وفي ذلك يقول صاحب اللسان (الطّرْف: طرْف العين، والطرْف: إطباق الجَفْن على الجَفْن،يقال: طَرَفَ يَطْرِفُ طَرْفاً:لحظ، وقيل: حرّك شُفْره ونَظَر. والطَّرْفُ: تَحْرِيكُ الجُفُون في النَّظَرِ. يُقَالُ: شَخَصَ بصرُه فَمَا يَطْرِفُ..) [2]
الثاني : بمعنى العين نفسها، يقول صاحب البصائر (الطَرْف: العَيْن، ولا يُجمع لأَنَّه في الأَصل مصدر، فيكون واحداً ويكون جماعة، قال الله تعالى﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ

(١) أربع مرات بلفظ الطرف، ومرة بلفظ (طرفك) ومرة بلفظ (طرفهم) ولمعرفة الآيات وسورها يراجع المعجم المفهرس للشيخ / عبد الباقي ص٤٢٥ (طرف).
(٢) لسان العرب ٢١٣/٩ (طرف).

طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم/٤٣]، وقال ابن عبّاد[١]: الطرْف: اسم جامع للبصر لا يُثنّى ولا يُجمع..) [٢]

الثالث: النظر إلى الشيء مدّ البصر، يقال :طرفْت إليه مدّ بصري،أي نظرت إلى نهايته.

قال الفرّاء (معناه قبل أَن يأتيك الشيء من مدّ بصرك' وقيل: بمقدار ما تفتح عينك ثم تطرِف، وقيل: بمقدار ما يبلغ البالغ إلى نهاية نظره)[٣]

وأرى أن الاستعمال القرآني على الأول، لأنه في بعض المواطن عبّر بالارتداد في قوله تعالى﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾ [إبراهيم/٤٣]، وقوله تعالى﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل/٤٠]، والارتداد يقتضي الرجوع والعود، وهذا إنما يتأتى للجَفن لا للعين، وجل العلماء على الثاني، والقرآن يستعمل الطرْف معبراً به عن النظر حينما يكون تحريك الجَفن ملازماً للنظر ومقصوداً في المعنى، وفي ذلك يقول الراغب –مشيراً إلى المعاني الثلاثة السابقة– (طَرْف العين: جَفْنه، والطَرْف: تحريك الجَفْن، وعُبّر به عن النظر إذ كان تحريك الجفن لازمه النظر) [٤]والله أعلم.

---

(١) هو : إسماعيل بن عبّاد بن العباس بن عباد، أبو القاسم بن أبي الحسن الوزير الملقب بالصاحب، ولد سنة ٣٢٦هـ، ورد مع والده إلى بغداد وجالس بها العلماء. وسمع الحديث من شيوخ ذاك الوقت، والصاحب مع شهرته بالعلوم وأخذه من كلّ فن منها بالنصيب الوافر، أوتي الفصاحة ووفّق لحسن السياسة والرجاحة... توفي سنة ٣٨٥هـ بالري (يراجع : تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ)٦٢/٢١ تح أ/ مصطفى عطا ط دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ، ومعجم الأدباء للحموي٦٦٣/٢)

(٢) لسان العرب ٢١٣/٩ (طرف).

(٣) يراجع : معاني القرآن للفراء٢٩٤/٢، والبصائر ٥٠١/٣(طرف).

(٤) المفردات ص٥١٧.

كما أني ألحظ أن التعبير بـ"الطرْف" في القرآن لم يأت إلا مراداً به الإشارة إلى معنى أو صفة معينة، فوق الباصرة، كالسرعة كما في قوله﴿ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ [النمل/٤٠]، والخوف والهلع، كما في قوله تعالى ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴾[إبراهيم/٤٣] ، والذلة والمهانة، كما في قوله تعالى ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى:٤١-٤٥]، وقَصْر النظر على الأزواج، كما ورد في صفة الحور العين، والآيات في ذلك معلومة، وهذا بخلاف العين، فإنما يقصد بها في كل موضع معنى بعينه،وغالباً ما يكون الباصرة، والله أعلم.

ب- البصر.

البصر : أيضاً من الألفاظ التي استعملها القرآن الكريم مرادفة للعين مفرداً ومجموعاً في عدة مواطن من كتاب الله تعالى(١)، حيث يُطلق ويراد به **الجارحة،** ويُطلق ويراد به **القوة التي تنبثق عنها،** فمن الأول قوله تعالى ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ [الملك/٣،٤]، فلفظ البصر هنا تكرر مفرداً ثلاث مرات، وجميعها بمعنى الجارحة.

ومن الثاني قوله تعالى ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف/١٩٨]،فهنا الكفَّار ينظرون إلى النبي ﷺ إلا أنَّهم لا يبصرون، أي: لا يدركون فضله،ولا يهتدون بهداه.

(١) من خلال استقرائي للآيات القرآنية بحثاً عن مادة "بصر" ومشتقاتها تبين لي أنها وردت في القرآن بصيغ مختلفة، على تصاريف متباينة، في ثمان وأربعين ومائة (١٤٨) مرة، مما يدل على ثراء هذه المادة القرآنية (لمعرفة الآيات ومواطنها من سورها يراجع : المعجم المفهرس ص١٢١"بصر").

وعلى هذا فالبصر هو (إدراك العين، ويطلق على القوة الباصرة، وهو قوة مُرتَّبة في العصبيْن المجوّفيْن، التي من شأنها إدراك أشباح الصور، بانعكاس الضوء فيها إذ البصر هو حاسة الرُّؤية، وورَد في القرآن مع ما يتعلق به من العمليَّات ليدل على العلم القوي المضاهي لإدراك الرُّؤية، فيقال: بصر بالشيء: علمه عن عيان، فهو بصير به) [(١)].

لكن ثمة فرق دقيق بين العين والبصر يبرزه لنا صاحب "الفروق " فيقول (الفرق بين العين والبصر أن العين آلة البصر وهي الحدقة، والبصر اسم للرؤية ولهذا يقال إحدى عينيه عمياء، ولا يقال أحد بصريه أعمى، وربما يجري البصر على العين الصحيحة مجازاً، ولا يجري على العين العمياء، فيدلل هذا على أنه اسم للرؤية، ويسمى العلم بالشيء إذا كان جلّياً بصراً، يقال : لك فيه بصر، يراد أنك تعلمه كما يراه غيرك) [(٢)].

ثم إن القرآن الكريم عبّر عن قوة القلب المدْرِكة، والمميِّزة بين الطيب والخبيث بالبصيرة، وجمَعَها على "بصائر"، وفي هذا يقول الراغب (البَصَر يقال للجارحة الناظرة، وللقوة التي فيها، ويقال لقوة القلب المدرِكة : بصيرة وبَصَر، نحو قوله تعالى﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق/ ٢٢]، وقال﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم/ ١٧]، وجَمْع البَصَر أبْصار، وجَمْع البصيرة بَصَائر، قال تعالى﴿ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأحقاف/ ٢٦]، ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة، ويقال من الأول: أبصرت، ومن الثاني: أبْصَرْته وبَصُرْت به، وقلما يقال بَصُرْت في الحاسة إذا لم تضامه رؤية القلب) [(٣)] ومع أن الراغب ذكر البصائر وفرّق بينها وبين الجارحة إلا أنه لم يمثل لها، ولعله

(١) الحواس في القرآن الكريم أ/ بليل عبد الكريم، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٧م، على موقع (شبكة الألوكة الإسلامية).
(٢) معجم الفروق اللغوية للعسكري ص ٣٨١.
(٣) المفردات ص١٢٧ "بصر".

أجرى آية "الأحقاف" تمثيلاً للبصائر، والحال أن البصيرة وردت مفردة مرتين، والبصائر خمس مرات[1] فمن المفرد قوله تعالى ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف/١٠٨]، ومن الجمع قوله تعالى﴿ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف/٢٠٣].

هذا وإني ألحظ على التعبير القرآني في استعماله للفظ "البصر" أو أحد مشتقاته مع البشر والمخلوقين إنما يكون في أحد المجالين الذم أو الامتنان غالباً، فيرد البصر موصوفاً بصفات قبيحة، أو تُنسب إليه أفعال مستقبحة، ولنتأمل بعضاً من هذه الآيات القرآنية الكريمة، والتي مثل قوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ ﴾ [البقرة /٧].

وقوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ [الجاثية /٢٣].

وقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴾ [الحجر / ١٥].

وقوله تعالى ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد /٢٢، ٢٣].

وقوله تعالى ﴿ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ ﴾ [المعارج / ٤٤]....

وفي مقام الامتنان نقرأ قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة:٦-١٠]... وغيره من الآيات.

ولست هنا بصدد الحديث عن أسرار تقديم السمع على البصر أو أسرار توحيد السمع وجمع الأبصار.. وماشاكل ذلك، حيث إن الحديث عن ذلك موفور مشهور، والبحث لايقصد ذلك بقدر ما يقصد بيان ملامح الاستعمال القرآني للفظة، مع إبراز التفرقة قدر المستطاع، والله أعلم.

---

(١) يراجع : المعجم المفهرس ص١٢٢ "بصر".

ج- النظر[1]

كان ما سبق من الألفاظ المرادفة لـ "العين" أما ما يُذكر هنا يُعد من الألفاظ المقارنة، أو التي تأتي مع لفظ " العين" غالباً أو دالة عليه ، ومنها "النظر "، ولفظ النظر: يُقصد به التأمل والتفحّص، يقال : نَظَره، أي: تأمّله بعينه [2]، وعبارة الراغب [3](نظرْتَ إلى كذا: إذا مَدَدتَ طرفك إليه رأيته أو لم تره، ونَظَرتَ فيه: إذا رأيتَه وتدبرتَه، قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية/١٧].

والنّظَر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يُراد به التأمّل والفَحْص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الرويّة، يقال: نَظَرتَ فلم تنظر، أي: لم تتأمل ولم تترو، وقوله تعالى﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [يونس/ ١٠١] أي: تأملوا) أهـ.

وقيل : النظر هو التحديق لإدراك الصور، في أول مراتب الإبصار، ثم تليه الرُّؤية، وهي من لوازمه، قال تعالى﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

ومن خلال ما سبق،وكذلك التأمل في كتاب الله تعالى نجد أن استعمال "النَّظر" فيه يدور حول أربعة معان :-

---

(١) من خلال استقرائي للآيات القرآنية بحثاً عن مادة "نظر" ومشتقاتها تبين أنها وردت في القرآن بصيغ مختلفة، على تصاريف متباينة، بمعان متنوعة تسعاً وعشرين ومائة (١٢٩) مرة، مما يدل على ثراء هذه المادة القرآنية (ولمعرفة الآيات ومواطنها من سورها يراجع : المعجم المفهرس ص٧٠٥"نظر").

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/محمد جبل ٢٢١٩/٤.

(٣) في المفردات ص ٨١٢"نظر".

أولها: النظر بالعين، والتحديق بالباصرة، كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ﴾ [التوبة/١٢٧]... وما شاكله.

ثانيها : التأمُّل والتفحُّص، **وثالثها** : المعرفة الحاصلة بعد الفحص، لأن الغاية من تقليب النظر وتحديق العين: الوصول إلى إدراك المنظور إليه لتحصل منه الرُّؤية والفائدة . ومنه قوله تعالى﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ [عبس/٢٤،٢٥].

رابعها :ـ التحيّر في الأمور، قال الراغب (ويستعمل النظر في **التحير في الأمور**،نحو قوله ﴿ **فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴾ [البقرة/ ٥٥]، وقال ﴿ **وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف/ ١٩٨]،وقال ﴿ **وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ** ﴾ [الشورى/ ٤٥]...فكل ذلك نظر عن تحير..) (١)

غير أنَّ غالب ما ورد في القرآن الكريم من اللفظ – فيما أرى– كان المراد به التأمُّل والتحري، فلم يكن المراد التوقّف عند التحديق، بل مجاوزة ذلك إلى التفكر والتروّي.

أما **الإنظار** فمأخوذ اشتقاقياً من "أنْظَرَ"، ومنه قوله تعالى ﴿ **قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ** ﴾ **[ص:٧٩،٨٠]**، وقال تعالى أيضاً﴿ **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ** ﴾ [البقرة:٢٧٦-٢٨٠]، والله أعلم.

د – الرؤية(٢).

(١)المفردات ص ٨١٣"نظر".

(٢) ومن خلال استقراء الآيات وجدت أن مادة "رأى" ومشتقاتها وردت في القرآن بصيغ مختلفة أيضاً، على تصاريف متباينة، بمعان متنوعة سبعاً وعشرين وثلاثمائة (٣٢٧) مرة، مما يدل على الثراء المعنوي الوافر لهذه المادة القرآنية (يراجع : المعجم المفهرس ص٢٨٠"رأى").

أمّا الرؤية: فهي أيضا من الألفاظ المقارنة، وتعني إدراك المرئي والإقبال بالبصر نحوه، قد يُدرك وقد لا يُدرك، ولذلك قد ينظر الشخص ولا يرى المرئي، وعليه فيجوز أن يُقال لله تعالى : إنه راءٍ، ولا يُقال: إنه ناظر.

وعلى هذا يتضح الفرق بين النظر والرؤية، كما يتضح ببيانٍ أن الرُّؤية من توابع النظر ولوازمه غالباً لذا أُجري لفظ النظر على الرُّؤية على سبيلِ إطلاقِ اسم السبب على المسبب، كما ورد في طلب موسى ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ فكان الردُّ :﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف/ ١٤٣].

والرؤية إذا أضيفت إلى الأعيان كانت بالبصر، وتُطلق على المنام والوهم، فالبصر خاص بالمعاينة والمشاهدة بالعين، فلازم البصر الإدراك، وهذا غير الرؤية التي قد تكون مع عدم إحاطة، لذا قال تعالى ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهذا في الدُّنيا والآخرة، أي: لا تُحيط به الأبَصار، وإن كانت تراه وتفرح بالنَّظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرُّؤية، بل يثبتها بالمفهوم، فإنه إذا نفى الإدراك الذي هو أخص أوصاف الرؤية، دل على أن الرؤية ثابتة، فلو أراد نفيها، لقال: لا تراه الأبصار، أو نحو ذلك.

والقرآن فرّق في الاستعمال أيضاً بين البصر والنظر أيضاً، فقال تعالى ﴿ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ [الأعراف/١٩٨]، فهنا فرق بين النَّظر والبصر، فَالكفَّار يحدقون في النبي ﷺ غير أنَّهم لا يبصرون، أي: لا يدركون فضله، ولا يستشعرون كرمه عليهم، ولا ينتفعون بالنظر إليه، ولا بالهدى المرسل به [(١)]، والله أعلم.

(١) يراجع في ذلك : المفردات ص ٨١٢"نظر"، وبصائر ذوي التمييز ٨٢/٥، ومعجم الفروق اللغوية للعسكري ص ٥٤٣، والمعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم د/محمد جبل ٢٢٢٠/٤، والحواس في القرآن الكريم أ/ بليل عبد الكريم، مقال منشور على شبكة المعلومات الدولية بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٧م بموقع (شبكة الألوكة الإسلامية).

المبحث الثالث : أوصاف العين في القرآن الكريم

المستقرئ لآيات القرآن يجد أن (العين) وُصفت بصفات مدح في آيات، وبصفات ذم في آيات أخر، وقُطعت عن المدح والذم في مجموعة ثالثة، ولذا يأتينا هذا المبحث في ثلاثة مطالب، كما يلي:-

المطلب الأول : العين المحمودة وصفاتها في القرآن.

أقصد بالمدح ما جاء في القرآن وصفاً للعين في سياق المدح تصريحاً أو تلويحاً، من أمور تتعلق بالمؤمنين في الدنيا أو الآخرة، وكذلك ما ورد بصيغة الأمر مما يتعلق بشأن العين، واعتبرتُه مدحاً لأن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء، بل يأمر بكل خير وفضل، وعلى هذا اعتبرت قوله تعالى﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ ﴾ [النور/٣٠] من قبيل المدح، ووصفتُ العين بناء عليه بـ (العين الغاضّة)... وهكذا كل ما جاء على شاكلته، وفي ذلك مسائل:

المسألة الأولى : أعين المؤمنين وأصافها.

وصف الله تعالى المؤمنين في كتابه بأوصاف عدة، فوصف أفعالهم مرة، وأقوالهم أخرى، ووجوههم ثالثة... وهكذا، وكما هو معلوم أن تعدد الصفة يدل على شرف الموصوف، وعلى هذه الشاكلة يأتينا وصْف أعين المؤمنين في القرآن بصفات متعددة، يجلّيها البحث في سطوره التالية :-

أولاً: الفيّاضة.

يُقصد بها : العين التي يفيض دمعها، وينزل منها منهمراً مدراراً، إما من خشية الله تعالى، أو خوفاً من التقصير في عبادته، أو فوت طاعة وقربة،.. ونحو ذلك، مأخوذ من قولهم (فَاضَ الماء : إذا سال منصبّاً، ومنه : فَاضَ صدرُهُ بالسّرّ

أي : سال، ورجل فَيَّاضٌ، أي : سخيّ، وحديث مُسْتفيضٌ : منتشر، والْفَيْضُ : الماء الكثير، يقال : إنه أعطاه غيضاً من فيض، أي : قليلاً من كثير) (١).

وورد هذا الوصف في آيتين، هما قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(٢)

وقوله تعالى ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴾(٣)

فالآية الأولى واردة في سياق الآيات النازلة في نصارى الشام الذين كانوا بالحبشة وأتوا المدينة مع اثنين وستين راهباًمصاحبين للمسلمين الراجعين من الحبشة وسمعوا القرآن وأسلموا كما ذكره جمع من المفسرين(٤).

وتظهر بلاغة التعبير القرآني عنهم هنا من وجهين :

الأول : التعبير بقوله (تَرى) الدالة على الرؤية البصرية، والتي هي من أقوى أسباب العلم الحسي، مبالغة في مدحهم، حيث يراهم الرائي وهم على تلك الصورة من رقة القلب وشدة التأثر عند سماع الحق(٥).

الثاني : التعبير بـ (تفيض) ومعناه : امتلاء العين من الدمع حتى تفيض، لأن الفيض أن يمتلأ الإناء أو غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه، فوُضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء، وهو من إقامة المسبب مقام السبب

---

(١) مفردات الراغب ص٦٤٨ (فيض) بتصرف.

(٢) المائدة /٨٣.

(٣) التوبة/ ٩٢.

(٤) حيث ذكر ذلك عن ابن عباس ومجاهد والسدي وغيرهم الإمام الطبري (٥٠٧/١٠) والواحدي في البسيط (٤٩٣/٧) تح د/محمد المحيميد ط جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض 1430هـ...وغيرهما.

(٥) يراجع : زهرة التفاسير للشيخ / أبي زهرة ٢٣٢٨/٥، والتفسير الوسيط د/طنطاوي٢٥٦/٤.

مبالغة في وصفهم بالبكاء، فجُعلت أعينهم كأنها تفيض بأنفسها، أى تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعاً [١] وفي ذلك بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم إلى قبول الحق وعدم إبائهم إياه [٢].

والآيةالثانية واردة في سياق الذين رفع الله تعالى عنهم الحرج من ذوي الأعذار ممن تخلفواعن غزوة تبوك لعذرهم وعُرف هؤلاء بـ (البكّائين) وحُق لهم أن يُعرفوا بذلك، وأن يُنزل الله تعالى رفع الحرج عنهم من فوق سبع سموات، لشدة إخلاصهم، ورغبتهم الصادقة في الخروج مع رسول الله ﷺ للغزو والجهاد، ونظراً لقوة إيمانهم وفرط محبتهم للاستشهاد وصفهم الله تعالى بأبلغ وصف – كالآية السابقة – فقال﴿ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ ﴾ ولاشك أن التعبير بذلك أبلغ من قولنا " يفيض دمع أعينهم " (لأنّ العين في التعبير القرآني جُعلت كأنها كلها دمع فائض) [٣].

ثانياً : القريرة.

هذا الوصف – كما يقول ابن فارس – يدل على معنيين، أحدهما بَرْد، والآخر تمكُّن.

فالأول : القُرُّ، وهو البرد، ومنه : يوم قارّ، أي بارد، ويقال : أقر الله عينه، إذا سُر ورضي، وقرة العين : ما يُسر ويُفرح من الأمور، ونظراً لأن للسرور دمعة باردة، وللحزن وللغم دمعة حارة قالوا لمن يُدعى عليه : أسخن الله دمعه.

(١) الكشاف 669/١، ٦٧٠ بتصرف، والتحرير والتنوير ٢٦٩/١٠، وإعراب القرآن وبيانه أ/ محيي الدين درويش (١٤٠٣هـ) ١٥٢/٤ ط دار الإرشاد بسورية.

(٢) روح المعاني ٤/ ٥.

(٣) الكشاف ٣٠١/٢ بتصرف .

والثاني : التمكّن، يقال : قرّ واستقر أي هدأ واطمأن، وقولهم : قرت عينه أي أعطاه الله تعالى ما تسكن به عينه فلا يطمح إلى غيره (١)،وعليه قال بعض أهل اللغة : إن معنى قرة العين أن يصادف عينه ما يرضاه قلبه، فتقر عينهعن النظر إلى غيره، يعني: لا تنظر إلى غيره(٢)

ووَصْف العين بالقريرة يشمل المعنيين معاً، حيث إنها تكون باردة ودمعتها كذلك عند فرحها وسرورها، كما تكون عندئذ قارة ثابتة غير متطلعة لما ليس لها غالباً.

والدعاء بقول بعضهم :أقرّ الله عينك معناه(صادفتْ عينك سروراً فنامتْ وذهب سهرها، وصادفت ما يرضيك، أي بلغك الله أقصى أمَلِك، حتى تقر عينك من النظر إلى غيره استغناء ورضا بما في يديك) (٣) وورد هذا المعنى في القرآن في سبع آيات هن كما يلي :-

١- قال الله تعالى ﴿ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ﴾ [مريم: ٢٦]

٢- وقال أيضاً ﴿ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴾ [طه: ٤٠]

٣ – وقال أيضاً ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان: ٧٤]

٤- وقال أيضاً ﴿ وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ [القصص: ٩]

(١) يراجع :مقاييس اللغة ٧/٥ بتصرف، والمحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (٤٥٨)هـ ١٢٢/٦تح د/ عبد الحميد هنداوي ط العلمية بيروت ٢٠٠٠م، والقاموس المحيط لمجد الدين الفيروزأبادي (٨١٧هـ) ٤٦٠/١(قر) تح /مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف أ/محمد العرقسوسي ط الرسالة بيروت ٢٠٠٥ م.

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ٢٢٥/٨(قر) بتصرف.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٤٧٠/٥ بتصرف.

٥- وقال أيضاً ﴿ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾[القصص: ١٣]

٦- وقال أيضاً ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[السجدة: ١٧].

٧- وقال ﴿ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ﴾[الأحزاب: ٥١].

وألحظ على هذه الآيات المباركات أربعة أمور :

الأول : أن الله تعالى عبّر بالفعل (تقرّ- وقرّي) في أربع آيات، وبالاسم (قُرّة) في ثلاث، وهذا أراه في قمة البلاغة، حيث استُعمل الفعل – وهو موضوع للدلالة على التجدد والحدوث - حينما كان المقام مقتضياً لذلك في هذه المواضع، فمثلاً في قصة أم موسى عليه السلام كان قلبها متلهفاً على وليدها وفلذة كبدها، فردّه الله تعالى إليها لإرضاعه وتربيته فترة ما كي تقر عينها بوليدها لأنه غاب عنها فترة من الزمان، وسيغيب فترة أخرى بعد انتهاء الإرضاع، فلكي تتجدد لها قرة العين مرة بعد مرة جاء التعبير بالفعل، في موضعيْ (طه والقصص)، وكذلك الحال بالنسبة لزوجات النبي ﷺ حتى يتجدّد لهن الفرح والسرور وقرة العين أيضاً، هذا عن صيغة المضارع، أما صيغة الأمر في قصة مريم فألمح منها الدلالة على إنشاء قرة العين لمريم عليها السلام، وطيب نفسها، وذهاب الخوف عنها حاضراً ومستقبلاً، عند ولاتها لعيسى عليه السلام، ولا أدل على ذلك من صيغة الأمر، والله أعلم.

الثاني : التعبير بإفراد العين (عين، عينها) في ثلاث آيات، والتعبير بجمعها (أعين) في ثلاث أخرى أيضاً، وأرى أن الإفراد ورد لمّا كان حديث الآيات عن شخص مفرد بعينه، وهي أم موسى عليه السلام في سورتي (طه والقصص)، وامرأة فرعون في موضع من سورة (القصص)،ولمّا كان الحديث عن جمع

من الناس كعباد الرحمن في الفرقان، وأهل الجنة في السجدة، وأمهات المؤمنين في الأحزاب ناسب ذلك الإتيان بصيغة الجمع في الجميع، والله أعلم.

الثالث : التعبير بعطف نفي الحزن على قرة العين لتنويع المنّة على أم موسى، لأن قرة عينها يكون برجوع موسى عليه السلام إليها، وانتفاء حزنها يكون بتحقق سلامته من الهلاك ومن الغرق وبوصوله إلى أحسن مأوى (١).

الرابع : التعبير في قصة موسى عليه السلام بالرجوع مرة في قوله (فَرَجَعْنَاكَ)، وبالرد مرة أخرى في قوله (فَرَدَدْنَاه)، وتظهر بلاغة هذا التعبير ببيان التفرقة بين الفعلين والسياقَيْن، فالرجوع هو (العود إلى ما كان منه البدء، أو تقدير البدء مكانا كان أو فعلا، أو قولا) (٢) والرد : بخلافه، والذي أفهمه من إيثار كل سورة بما ورد فيها، أن سياق سورة "طه" يقتضي التعبير بالرجوع لأنه مقام تعداد المنن على موسى عليه السلام، فحتى تعظم المنة على موسى عليه السلام أوثر اللفظ الذي يدل على العود إلى ما كان منه البدء، وهو"الرجوع " زيادة في الامتنان عليه، ويدل على ذلك تنوّع وتعدد خطاب الله تعالى لموسى عليه السلام في نفس السورة، حتى تكررت كاف الخطاب فيها أكثر من خمس عشرة مرة، وذلك بخلاف السياق في سورة "القصص"، والله أعلم.

ثالثاً : الثابتة غير المتطلعة.

أفدت هذا الوصف للعين بطريق الإشارة من غير تصريح في موضعين من كتاب الله تعالى :

الأول : قوله تعالى ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨].

(١) التحرير والتنوير ٢١٩/١٦.

(٢) المفردات ص٣٤٢ (رجع).

الثاني :قوله تعالى﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ﴾[طه/ ١٣١].

وهذان الموضعان استفيد منهما الوصف بطريق الأمر، حيث أمر الله تعالى رسوله ﷺ – والأمر للأمة أيضاً – بأن لا تتطلع عينه، ولا تطمح نفسه إلى ما في أيدي الآخرين، وما منحهم الله تعالى إياه من نعم وآلاء، وليقنع بما رزقه الله تعالى إياه، ولعل هذه النعم من قبيل الابتلاء والفتنة لهم، فضلاً عن أنه من متاع الدنيا، وكل أمرها إلى زوال.

واعتبرت هذا الوصف الضمني من قبيل الصفات المحمودة لأنه أمْر من قِبل الله تعالى، والله جل وعز لا يأمر إلا بكل خير، مما فيه محبته ورضاه سبحانه وتعالى – كما مر– وهذا بلا شك على رأس المحامد كلها.

عن ابن عباس في قوله تعالى"لا تمدن عينيك..." الآية. قال: نهى الرجل أن يتمنى مال صاحبه(١)

ومدُّ النظر تطويله وأن لا يكاد يرده استحسانا للمنظور إليه، والمراد : لا تنظرن بعين الرغبة إلى ما متعنا به بعض الخلق، فما أعطيناك في الدنيا من القرآن خير وأفضل مما أعطيناهم من الأموال، فاستغن بما أعطيناك من القرآن والدين والعلم، ولا تنظر إلى أموالهم (٢).

وقريب من هذين الموضعين قوله تعالى ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف/٢٨]

(١) تفسير القرآن العظيم لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧هـ)٢٢٧٣/٧ تح أ/أسعد الطيب ط مكتبة نزار الباز بالسعودية ١٤١٩هـ.

(٢) بحر العلوم لأبي الليث نصر بن إبراهيم السمرقندي (٣٧٣هـ) ٢٦٢/٢، وروح البيان ٤٨٧/٤ بتصرف.

حيث ينهى الله تعالى فيه رسوله ﷺ بأن لا يجاوز بصره ضعفاء المؤمنين، رغبة في مجالسة الأشراف، وكان ﷺ حريصاً على إيمان الرؤساء طمعاً في إيمان أتباعهم، ولم يمل إلى الدنيا قط ولا إلى أهلها، وإنما كان يلين في بعض الأحيان للرؤساء طمعاً في إيمانهم، فعوتب بهذه الآية، وأُمر بأن يجعل إقباله على فقراء المسلمين، وألا يلتفت إلى غيرهم(١).

والملاحظ على الآيات الكريمة أمور :

الأول : أن «مدّ العين» هنا كأنه اقترن به تمنٍّ ورجاء، ولذلك عبّر عن الميل إلى زينة الدنيا بـ «مد العين» (٢).

الثاني : التعبير بلفظ التثنية في "عينيك" يدل على المبالغة في النهي، أي مداً عظيماً بالتمني والاشتهاء المؤكد، ولذلك ثَنّى العين احترازاً عن حديث النفس(٣).

الثالث : ظاهر قوله تعالى "وَلَا تَـعْدُ عَيْنَـاكَ عَنْهُمْ" يفيد النهي عن الإعراض، أي : لا تُعرض عن هؤلاء الفقراء لأجل الأغنياء، ولذلك ضُمن فعل العَدْو معنى الإعراض، فعُدّي إلى المفعول بـ (عن) وكان حقه أن يتعدى إليه بنفسه يقال: عداه إذا جاوزه، (٤)والله أعلم.

رابعاً : المتلذذة.

هي: العين التي تنعم وتسعد بكل ما هو طيب المخبر، أو حسن المظهر، ولا يكون كمال اللذة إلا في الجنة بنعيم الله تعالى للمؤمنين.

ووردت الإشارة إلى هذا الوصف في موطن واحد، عند الحديث عن بعض ألوان النعيم للمؤمنين في الجنة، وهو قوله تعالى ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ

(١) الوسيط للواحدي ١٤٥/٣ بتصرف.
(٢) تفسير ابن عطية ٣٤٧/٣ بتصرف.
(٣) نظم الدرر ٨٦/١١ بتصرف.
(٤) التحرير والتنوير ٣٠٥/١٥ بتصرف.

وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الزخرف/٧١].

فقوله تعالى"وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ" من لَذِذْتُ الشيءَ واستلْذَذْتُه، والمعنى: ما من شيء اشتهَتْه نفس أو استَلَذَّتْه عين إلا وهو في الجنة، وقد جمع الله تعالى جميع نعيم الجنة في هذين الوصفين، فإنه ما من نعمة إلاّوهي نصيب النَّفْس أو العين، وتمام النَّعيم الخلود، لأنه لو انقطع لم تَطِب(١).

هذا وإني ألحظ على هذا الموضع الكريم أموراً :-

أولها : اشتماله على جميع أنواع النعيم، وألوان المتع لأهل الجنة بأوجز عبارة وأدقها لأنه ما من نعمة إلا وهي نصيب النفس أو العين،كما مر.

ثانيها: اختصاص العين بالذكر هنا دون بقية الجوارح (لأنها رائد النفس والقلب، وللدلالة على فَرَط حسن نعيم الجنة، وإلا ما قبلته العين والنفس)(٢).

ثالثها: قوله تعالى "وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" رافع لكل ألم وتنغيص عن أهل الجنة (فإن كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال، ومستعقب للتحسر في مستقبل الحال)(٣) نسأل الله تعالى أن نكون جميعاً من أهل فضله ورضوانه ونعيمه المقيم، اللهم آمين.

المسألة الثانية : عيون الجنة وأوصافها.

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٤/٨٣ بتصرف.

(٢)غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (٥٠٥هـ)٢/١٠٦٧ ط دار القبلة بجدة.

(٣)أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبي سعيد ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (٦٨٥هـ)٥/٩٦ بتصرف،
تح أ/ محمد المرعشلي ط دار إحياء التراث العربي بيروت١٤١٨ هـ.

الناظر في كتاب الله تعالى يجد عدداً غير قليل من الآيات الكريمة، ورد فيه أوصاف لعيون الجنة، مما يثير الاهتمام بها، ويؤهِّلها لدراسة مستقلة، لذا كانت هذه المسألة، وستكون الدراسة والأوصاف مرتبة تبعاً لورودها بالمصحف فيما يلي :-

أولاً : الجارية.

هي : العين التي يجري فيها ومنها الماء جرياناً سريعاً كثيراً، غير بطيء ولا قليل.

والجَرْي : المرّ السريع، وأصله كمرّ الماء، يقال : جَرَى الماء يَجْرِي جَرياً وجَرَيَاناً (١).

وقد ورد هذا الوصف للعين في القرآن في موضعين :

الأول : قوله تعالى ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ [الرحمن : ٥٠]، والثاني : قوله تعالى ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ [الغاشية : ١٢].

وكلا الموضعين وردا وصفاً لعيون الجنة، وجاء الأول بلفظ التثنية موافقة للسياق، وأن من خاف ربه- على خلاف بين المفسرين في المعنى- له جنتان من صفتهما:أنه﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ وهاتان الجنتان تجريان بالزيادة والكرامة على أهل الجنة. وقيل : تَجريانِ بالماء الزلال، إحداهما التسنيم، والأخرى السلسبيل، وقيل:إحداهما من ماء، والأخرى من خمر.

وقيل : تجريان في الأعالي والأسافل من جبل من مسك(٢).

فإن كان الجنتان اثنتين لكل من خاف مقام ربه، فلكل جنة منهما عين، فهما عينان لكل

(١) يراجع : المفردات ص 194، والأفعال في القرآن الكريم د/ عبد الحميد مصطفى 289/1(جرى) بتصرف ط دار البيان العربي بجدة 1986م.

(٢) يراجع : تفسير البغوي ٣٤٠/٤،و وابن الجوزي ٢١٣/٤،والقرطبي ١٧٨/١٧،والخازن ٢٣٠/٤،وأبي حيان ٦٨/١٠...وغيرهم.

من خاف مقام ربه، وإن كان الجنتان جنسين فالتثنية مستعملة في إرادة الجمع، أي عيون على عدد الجنات، وكذلك إذا كان المراد من تثنية جنتان الكثرة كما أن تثنية "عينان" للكثرة.

وفصل بين الأفنان وبين ذكر الفاكهة بذكر العينين مع أن الفاكهة بالأفنان أنسب،لأنه لما جرى ذكر الأفنان، وهي من جمال منظر الجنة،أعقب بما هو من محاسن الجنات، وهوعيون الماء جمعا للنَّظِيرِيْن، ثم أعقب ذلك بما هو من جمال المنظر، أعني: الفواكه في أفنانها ومن ملذات الذوق(١).

أما الإفراد في قوله ﴿ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴾ فلعله لأن عين اسم جنس، أي عيون، أو عين مخصوصة ذُكرت تشريفاً لها (٢)، وقيل : في الجنة العالية عين جارية في غير أخدود(٣).

وسواء أكانت عيناً أم عينين أم عيوناً فهذا مما يدل على كرامة أهل الجنة عند المليك المقتدر سبحانه وتعالى، وأنه عز وجلّ يكرمهم بتعدد ألوان النعيم لهم، وذلك لتعدد أنواع الطاعات منهم، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا جميعاً من أهل منّه وكرمه، اللهم آمين.

ثانياً : النضّاخة.

العين النضّاخة هي : الفوّارة شديدة الفوران، كثيرة الماء مع حسنه وجماله.

وفي ذلك يقول صاحب اللسان : والنَّضْخ شدّة فور الماء في جَيَشانه وانفجاره من يَنْبوعه.

وقال أَبو علي(١): ما كان من سُفْل إِلى علْو فهو نَضْخ، وعين نضَّاخة تَجيش بالماء. (٢)

(١) التحرير والتنوير ٢٦٦/٢٧ بتصرف.
(٢) البحر المحيط463/10.
(٣) تفسير الطبري 387/24.

ولم يرد هذا الوصف للعين إلا في موضع واحد من التنزيل، وهو قوله تعالى ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾ [الرحمن : ٦٦]، وعليه ف (نضاختان) بمعنى : فوّارتان ، وجلَ المفسرين على ذلك، وقال الضحاك: { نَضَّاخَتَان } أي ممتلئتان لا تنقطعان (٣).

وسواء أكان فورانها بالماء أم المسك والعنبر أم الخير والبركة.. ونحو ذلك مما ذكره المفسرون (٤) فهذا مما يدل على غاية إكرام الله تعالى لهم أيضاً، مع تعدده وتنوعه، ولا حرج على فضل الله تعالى.

والملاحظ هنا أن الله تعالى وصف العين بالنّضْخ وهو أدْون، وفي الآيات السابقة بالجري، وهو أعظم لأن الجري أقوى من النضخ، والجنات الموصوفة بالنضخ أدْون وأقل درجة من السابقة لأنه تعالى قال في هذين دون الأوليَيْن ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾الرحمن: ٦٢] وفي ذلك يقول صاحب (باهر البرهان) (

---

(١) هو : أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أحد الأئمة في علم العربية.

ولد في فَسَا (مدينة بفارس وهي أنزه مدينة بها كما يقول الحموي٤/٢٦١) ودخل بغداد سنة ٣٠٧ هـ وتجوّل في كثير من البلدان، برع في النحو وغيره، وصنف كثيراً مثل كتاب (الإيضاح) و(تعاليق سيبويه)، و(الشعر)..وغيرها، توفي سنة ٣٧٧هـ(يراجع: وفيات الأعيان لأبي العباس أحمد ابن خلكان (٦٨١هـ) ٢/٨٠تح أ/إحسان عباس ط دار صادر – بيروت١٩٠٠م، ومعجم الأدباء لشهاب الدين ياقوت الحموي (٦٢٦هـ) ٢/٨١١ تح أ/إحسان عباس ط دار الغرب الإسلامي، بيروت١٩٩٣م، والأعلام لخير الدين الزركلي ٢/١٨٠ ط دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٢م).

(٢) لسان العرب 61/3، وتاج العروس 7 /357 (نضخ) بتصرف.

(٣) يراجع : تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (774 هـ) 507/7 بتصرف

تح أ/ سامي سلامة ط دار طيبة ١٩٩٩ م.

(٤) يراجع : الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى النيسابورى (٤٢٧ هـ)9/ 193بتصرف ط دار إحياء التراث بيروت 1422 هـ .

"نضاختان" أي فوّارتان، والنضخ دون الجري فلذلك كانتا دون الأوليين) [1] والله أعلم.

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن لأبي القاسم محمود بن علي بن الحسين النيسابوريّ (ت بعد ٥٥٣هـ) تح د/ سعاد بابقي ط جامعة أم القرى 1998م.

ثالثاً : الكافور.

الكافور : شجر من الفصيلة الغاريّة يُتخذ منه مادة شفافة بلورية الشكل، يميل لونها إلى البياض، رائحتها عطرية وطعمها مر، وهو الذي يُجعَل في الطِّيب، وأصنافه كثيرة (١)

وقيل : هو زيت يُستخرج من شجرة تنبت في بلاد الصين،يُغلى حطبها ويستخرج منه زيت يسمى الكافور، وهو ثخن قد يتصلب فيصير كالزبد، وإذا وقع حطب شجرة الكافور في الماء صار نبيذاً يتخمر فيصير مسكراً، ولونه أبيض ذكي الرائحة منعش(٢).

وهذا الوصف ورد في موضع واحد أيضاً هو قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾ [الإنسان: ٥ – ٦].

والكافور في الآية قيل: هو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده.

وعن قتادة : تمُزج لهم بالكافور وتُختم لهم بالمسك، وقيل : تُخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مُزجت بالكافور(٣).

وقوله (مزاجها) أي يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافوراً، وقال عكرمة : مزاجها طعمها.

وقيل: إنما الكافور في ريحها لا في طعمها، وقيل: أراد كالكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده، لأن الكافور لا يشرب(٤) وعليه فشراب أهل الجنة هنا من عين ماؤها كالكافور بياضاً ورائحة وبرودة وفضلاً.

---

(١) المعجم الوسيط 792/2 (كفر).
(٢) التحرير والتنوير 29/ 353 بتصرف.
(٣) تفسير أبي السعود 420/6 بتصرف.
(٤) القرطبي125/19، والبغوي 293/8، والكشف والبيان 95/10.

والملاحظ هنا أن الله تعالى عبر بقوله " يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ " ولم يقل "يشرب منها " مع أنه المتبادر من الكلام، وسر هذا التعبير راجع إلى أمرين :

الأول : أن الفعل (يشرب) عُدّي **بالباء** لتضمينه معنى التلذذ أو الارتواء، والمعنى : يتلذذ بها أو يُروى بها عباد الله لأن الشرب قد يكون أقل من الارتواء، يؤتى الشخص بإناء يشرب منه، فيشرب لكن ليس إلى درجة الارتواء، فقد يرتوي وقد لايرتوي،وإذا أُتي بشيء يشرب به فلابد أن يرتوي، وعليه (فشرب به) بمعنى ارتوى لغة(١).

الثاني : أن "شرب به" تفيد معنى الوجود في المكان نفسه، يقال : شربت بالعين، وسكنت بالبلد أي أقمت فيها لأن الباء قد تكون للظرفية، إذن شرب بالعين معناها : كان قطعاً موجوداً ومقيماً فيها أو حولها وشرب، أما شرب من العين ليس بالضرورة أن يكون في العين، إذن اللذة تكون بشيئين: بالمنظر وبالارتواء.

وفي ذلك يقول الراغب رادّاً على من ذهب إلى زيادة الباء أو تبعيضها في الآية: (وقال بعضهم : الباء بمعنى "من" في قوله﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين : ٢٨]،وقوله﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ والوجه ألا يُصرف ذلك عمّا عليه، وأن العين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء لا إلى الماء بعينه، نحو : نزلت بعين، فصار كقولك : مكاناً يَشرب به) (٢).

(١) الكشاف"الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه"لأبي محمد مكي ابن أبي طالب المالكي (ت 437هـ) 12/ 7912 ضمن مجموعة رسائل علمية بجامعة الشارقة، ط جامعة الشارقة ٢٠٠٨م،واللباب في علوم الكتاب5142/10،ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل د/ فاضل صالح السامرائي ص ١٠٠بتصرف نسخة الكترونية مصورة من خلال برنامج (pdf).

(٢) المفردات ص 161(نهاية كتاب الباء) ولمسات بيانية د/ السامرائي ص ١٠٠بتصرف.

وعلى هذا فقوله " يَشْرَبُ بِهَا " يدل لغة على الارتواء والوجود في المكان حين الشرب، فتجتمع لهم لذة الشرب مع الارتواء،ولذة المقام والوجود وعدم المفارقة، فلاهم يفارقون هذا النعيم وهذه العيون، ولاهي تفارقهم إلى غيرهم، وهذا أبعد للتنغيص والتكدير، ثم خُتمت الآية بقوله تعالى ﴿ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا﴾ " أي: يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم، نسأل الله تعالى أن نكون منهم أجمعين.

رابعاً : السلسبيل.

الماء السلسبيل : هو الماء السهل اللذيذ، سلس الجري [1]، سلس المساغ.

قيل : هو عين في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل، لا يشبه زنجبيل الدنيا، يشربها المقربون صِرفاً، ويُمزج لسائر أهل الجنة [2].

وورد هذا الوصف أيضاً في موضع واحد من التنزيل، وهو قوله تعالى ﴿ وَيُسۡقَوۡنَ فِيهَا كَأۡسٗا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ١٧ عَيۡنٗا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلۡسَبِيلٗا ﴾ [الإنسان: ١٧ – ١٨].

والسلسبيل صفة لعين ماء في الجنة – على الراجح – ووُصفت بذلك لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها، يقال : شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، وهو ما كان من الشراب غاية في السلاسة، زيدت الباء زيادة في المبالغة في هذا المعنى، والمراد بيان أنها في طعم الزنجبيل، وليس فيها لذعة بل هي على نقيض اللذع وهو السلاسة [3].

---

(١) المفردات ص 418 (سل) بتصرف.

(٢) يراجع : تفسير الطبري 300/24، ومعالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـ) 296/8تح أ/ محمد عبد الله النمر وآخرين، ط دار طيبة ١٩٩٧ م.

(٣) تفسير أبي السعود 423/6، والسراج المنير للشربيني ٤٥٦/٤ بتصرف.

والزنجبيل : مما كانت العرب تستطيبه جداً، فوعدهم الله تعالى أنهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة (١).

وقال قتادة: سميت بذلك لأنها سلسة منقاد ماؤها حيث شاءوا(٢).

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها في الحَلْق، واختار هو أنها تَعُمّ ذلك كلَّه، والأمر كما قال (٣)، والله أعلم.

وفي ترجيح كون "سلسبيلا" صفة للعين لا اسماً لها يقول الطبري – بعد ذكره الأقوال الأخرى –(والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله " **تُسَمَّى سَلْسَبِيلا** " صفة للعين، وُصفت بالسلاسة في الحلق... وإنما قلت ذلك أولى بالصواب لإجماع أهل التأويل على أن قوله " **سَلْسَبِيلا** " صفة لا اسم) (٤).

والله عز وجل جمع لأهل الجنة ألواناً من النعيم والعيون، فجعل شرابهم جامعاً بين برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك من غير لذع، وهؤلاء يُمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة، أما المقربون فإنهم يشربون من كل منها صِرْفًا، كما قاله قتادة وغير واحد (٥)، والله اعلم.

خامساً : التسنيم.

عين (التسنيم) : هي عين يُمزج بها الرحيق لأصحاب اليمين في الجنة، وأما المقرّبون فيشربونها صِرْفاً، وهي المذكورة في قوله تعالى ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾ [المطففين: ٢٥ – ٢٨]، وجل المفسرين على هذا القول.

---

(١) تفسير البغوي 296/8.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: 2 / 338، والطبري: 29 / 218، وزاد السيوطي (عزوه لعبد بن حميد)في الدر المنثور: 8 / 376، وذكره القرطبي في تفسيره 143/19.

(٣) يراجع : الطبري 24/ 109،110، وابن كثير 292/8.

(٤) الطبري 24/ 109،110بتصرف.

(٥) تفسير ابن كثير 292/8،و البغوي١٩٣/٥.

واللفظ مأخوذ من "سنم" أي : ارتفع، ومنه سنام البعير (١).
والتسنيم: تفعيل من قول القائل: سنَّمتهم العين تسنيماً، إذا أجريتها عليهم من فوقهم، فكان معناه في هذا الموضع: ومزاجه من ماء ينزل عليهم من فوقهم فينحدر عليهم(٢).
وسُميت بذلك لأنها عين في الجنّة رفيعة القدر، أو أنها تجري فوق الغرف والقصور، أو لأنها أرفع شراب في الجنة أو أنها تجري في الهواء مسنّمة فتنصب في أوانيهم، أو لأن ماءها عند الجري يُرى فيه ارتفاع وانخفاض، فهو التسنيم أيضاً وذلك لأن أصل هذه الكلمة للعلو والارتفاع (٣).

والناظر في سياقات الآيات الواردة في عيون الجنة يلحظ أمرين :

الأول : أن بعض هذه العيون ورد في وصفها قوله تعالى (وَمِزَاجُهُۥ.) وقوله (كَانَ مِزَاجُهَا..) والبعض الآخر ليس كذلك، ومن خلال استقراء كتب التفسير وجدت أن العلة في ذلك المغايرة بين جزاء الأبرار والمقربين، وتفاوت درجة كل منهم، فإذا كان الحديث عن الأبرار جاءت الآيات بالشراب الممزوج بغيره لنزول رتبتهم عن رتبة المقربين، وإذا كان الحديث عن المقربين كان شرابهم خالصاً صِرفاً لعلو مكانتهم.

الثاني : ورد في التعبير عن بعضها قوله (يَشْرَبُ بِهَا) وذلك حين يكون الحديث عن المقربين للدلالة علي شربهم حتى الرِّيّ، مع الاستقرار والإقامة في المكان، علي ما سبقت الإشارة إليه، والله أعلم.

---

(١) مختار الصحاح للرازي 326 (سنم).
(٢) تفسير الطبري24 /300.
(٣)المفردات 429 (سنم)، الطبري24 /300، والرازي 91/31، وأبو السعود 484/6.

المطلب الثاني : العين المذمومة وأوصافها في القرآن.

تمهيد : سيراً على سَنن القرآن الكريم في الجمع بين الترغيب والترهيب والمدح والذم، ألفينا الحديث فيه عن العين جامعاً بين هذين الأسلوبين، ومر بنا سابقاً العين المحمودة وصفاتها، وهذا بلا شك من قبيل الترغيب والمدح ليمتثل المؤمنون الصادقون هذه الصفات، ولهم عند ربهم عظيم الحسنى والمثوبة، والآن سيعرض البحث للأسلوب الآخر، وهو من قبيل الترهيب والذم ليجتنبه المؤمنون ويحذروه...، وسيعرض البحث هذه الصفات حسب ترتيبها المصحفي فيما يلي:-

أولاً : المُعَطّلَة.

يُقصد بها : العين التي عُطلت عن إدراك الحقائق والبينات من غير علّة أو آفة من الآفات، ويدخل في ذلك عدم الاهتداء إلى الهدى، وسلوك طريقه دخولا أولياً.

وورد هذا الوصف للعين في القرآن الكريم في موضع واحد هو قوله تعالى :
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].
والآية الكريمة واردة في سياق ذم بني البشر الذين تنكبوا الصراط المستقيم، وكفروا بربهم الذي أخذ عليهم العهد في عالم الذر، ويتأكد هذا المعنى بذكر قصة الذي أوتي آيات الله ثم انسلخ منها، ويتضح اكثر هنا ببيان أن بعضاً من أشقياء الجن والإنس خلقهم الله تعالى لجهنم، لعلمه أزلاً أنهم لن يؤمنوا به، ولن يهتدوا إليه إذا أبداً.

ومعنى نفي الفقه والإبصار والسمع هنا عن آلاتها الكائنة فيهم : أنهم عطلوا أعمالها بترك استعمالها في أهم ما تصلح له، وهو معرفة ما يحصل به الخير الأبدي، ويُدفع به الضر السرمدي لأن آلات الإدراك والعلم خلقها الله

لتحصيل المنافع ودفع المضار، فلما لم يستعملوها في جلب أفضل المنافع، ودفع أكبر المضار نفي عنهم عملها على وجه العموم للمبالغة، لأن الفعل في حيز النفي يعم مثل النكرة، فهذا عام أريد به الخصوص للمبالغة.

وليس في تقديم الأعين على الآذان مخالفة لما جرى عليه اصطلاح القرآن من تقديم السمع على البصر لأن الترتيب في آية سورة الأعراف سلك طريق الترقي من القلوب التي هي مقر المدركات إلى آلات الإدراك، الأعين ثم الآذان، فللقلوب المرتبة الأولى في الارتقاء (١) يليها العين حيث تمثل المرتبة الثانية في الإدراك، ثم الأُذن التي تمثل المرتبة الثالثة في الإدراك، فالآية وردت بترتيب آلات الإدراك، الأول ثم الذي يليه، ثم الذي يليه، وهي علي حد قوله تعالى ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف/١٩٥]، والآية وإن كانت واردة في شأن الأصنام إلا أنها وُصفت بما وُصف به عابدوها قبل ذلك من نفي أو تعطيل آلات الإدراك والعلم، أو أنهم خوطبوا على وفق ما يعتقدونه فيها، والله أعلم.

وسبحان من هذا كلامه وبيانه، وصدق الله حين وصفه بقوله ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء/٨٢].

ثانياً : المُزدرية

هي : العين التي تحتقر ما تقع عليه وتستصغره تقليلاً لشأنه، وتهويناً من أمره وهذا الوصف مأخوذ من قولهم : زَرَيْتُ عليه : أي عبته، وأَزْرَيْتُ به : أي قصّرت به، وازْدَرَيْتُ، أصله : افتعلت، والإزراء : التّهاوُن بالنّاس (٢).

(١)التحرير والتنوير 359/8 بتصرف كبير.

(٢)المفردات ص 379، 380، والعين للفراهيدي 7 / 381 (زري) بتصرف.

وعليه فالعين المزدرية أي المحتقرة للآخرين، المستصغرة لشأنهم، وقد ورد هذا الوصف في موضع واحد، هو قوله تعالى ﴿ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود: ٣١.

والآية واردة في ثنايا قصة سيدنا نوح عليه السلام ومجادلته قومه، وفي هذا السياق نَفَى نوح عليه السلام (أربعة أمور، **أولها** : أنه ليس عنده خزائن، فهو في الأموال دونهم، فاللَّه تعالى لم يبعث رسولا يعطيه خزائن الأرض، لكن يبعثه بما هو أعز وأغلى وهو إثراء الروح والنفس بمحبة اللَّه ورجاء ثوابه وتقوى اللَّه تعالى وخوف عقابه.

ثانيها: نفي أنه يعلم الغيب، فما جاء إلا هاديا للحق وداعيا إلى اللَّه تعالى، وذلك لَا يقتضي علم الغيب الذي اختص اللَّه تعالى به نفسه، وهو في هذا مثلكم.

ثالثها: أنه لا يقول إنه ملك، وهو بشر مثلكم نشأ بينكم وعرفتم مولده، وأنه بشر كسائر البشر.

رابعها: نفي أنه يقول للمؤمنين الذين تحتقرهم أعينكم، لن يؤتيهم الله خيراً بل لهم الخير كل الخير، وأشار بقوله ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ ﴾ هود: ٣١، إلى أن الاعتبار ليس للصورة ولكن إلى نور القلوب(١).

وهنا نُسب الازدراء للأعين لأحد أمرين :

الأول : إمّا بالنظر إلى قولهم ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ﴾ [هود: ٢٧].

(١) زهرة التفاسير 7 /3702 بتصرف.

الثاني : أو الإشعار بأنهم قالوا ذلك لقصور نظرهم، ولو تدبروا في شأنهم ما فعلوا ذلك، أي لا أقول في شأن الذين استرذلتموهم واحتقرتموهم لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيراً في الدنيا أو في الآخرة، فعسى الله أن يؤتيهم خيري الدارين(١).

ثالثاً : الدوّارة .

يُقصد بها : العين المضطربة كثيرة الحركة والتجوّل من شدة الخوف والفزع لعظيم ما دهاها.

أو هي : الهلعة التي تدور هلعاً من شدة الخوف (٢).

واستفيد هذا الوصف من قوله تعالى في وصف المنافقين ﴿ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾ [الأحزاب: ١٩].

وهذه الآية الكريمة واردة في سياق غزوة الخندق من سورة الأحزاب لتصف بعضاً من أحوال المنافقين مع النبي ﷺ وصحابته الكرام، وبيان أن المنافقين قوم جبناء خوّارون بخلاء، فإذا جاء الخوف واقترب الوقت الذي يُتوقع فيه اللقاء بينكم وبين أعدائكم، رأيتهم أيها الرسول الكريم – ينظرون إليك بجبن وهلع تدور أعينهم في مآقيهم يميناً وشمالاً كحال المغشى عليه من الموت.

وجيء بصيغة المضارع في (ينظرون) ليدل على تكرر هذا النظر وتجدده.

وجملة "تدور أعينهم" حال من ضمير "ينظرون" لتصوير هيئة نظرهم نظر الخائف المذعور الذي يحدق بعينيه إلى جهات يحذر أن تأتيه المصائب من إحداها.

---

(١)إرشاد العقل السليم ٤/ ٢٠٣ بتصرف.

(٢) أحوال العين في القرآن الكريم – مقال متاح على الشبكة العنكبوتية – منتدى رواد القرآن الكريم.

والدَوْر والدَوَران: تحرك جسم حركة دائرية – كحركة الرحى – منتقل من موضع إلى موضع، فينتهي إلى حيث ابتدأ، يقال : دار الشيء يدور دوراً ودوراناً... وأدار الشَّيءَ:جعل حركاتِه تتواتر بعضُها في إثر بعض(١).

ومشتقات هذا الفعل تدور حول هذا المعنى، فالدار اسم للمكان المحدود المحيط بسكانه بحيث يكون حولهم، ومنه سميت الدارة لكل أرض تحيط بها جبال، وقالوا : دارت الرحى حول قطبها. وسموا الصنم: دوارا – بضم الدال وفتحها – لأنه يدور به زائروه كالطواف، وسَموا ما يحيط بالقمر والشمس دائرة، وسُميت مصيبة الحرب دائرة لأنهم تخيلوها محيطة بالذي نزلت به لا يجد منها مفراً.

وعليه فمعنى {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ} أنها تضطرب في أجفانها كحركة الجسم الدائري من سرعة تنقلها محملقة إلى الجهات المحيطة، وشبّه نظرهم بنظر الذي يُغشى عليه بسبب النزع عند الموت فإن عينيه تضطربان، ويصير حاله في أقصى دركات الوهن والخوف والفزع.

وفي الآية الكريمة حذف تقديره : تدور أعينهم دورانا كدوران عين الذي يُغشى عليه من الموت، فحذف المصدر وهو «دوراناً» وما أضيفت الكاف إليه وهو «دوران، وما أضيف «دوران» إليه وهو «عين» وأقيم «الذي» مقام «عين»، وإنما وجب هذا التقدير ليستقيم معنى الكلام(٢)،

والله أعلم.

ويقارب هذه الآية في المعنى، ووَصْف العين بهذا الوصف قوله تعالى :

---

(١) التحرير والتنوير21 / 297 بتصرف.

(٢) يراجع : لسان العرب 295/4، ومعجم اللغة العربية المعاصرة 1 / 782 (دور)، والتحرير والتنوير 21/ 218، والتفسير الوسيط د/ طنطاوي 11 / 189، والتفسير المنير د /وهبة الزحيلي 21/ 257بتصرف وتلخيص.

﴿ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٠]، وهي الأخرى تصف المنافقين بهذه الحالة من الهلع والخوف والذعر الذي ينتابهم حين يُطالبون بالقتال أو الاشتراك فيه مع المؤمنين، إلا أن الآية السابقة دلت على هذا الوصف مع الحركة والاضطراب، وهذه دلت عليه مع السكون وثبات الحدقة وعدم التحريك، وفي ذلك يقول ابن عاشور:

(ووجه الشبه ثبات الحدقة وعدم التحريك، أي ينظرون إليك نظر المتحير بحيث يتجه إلى صوب واحد ولا يشتغل بالمرئيات لأنه في شاغل عن النظر) (١) فسبحان من هذا كلامه، ومنطقه وبيانه.

رابعاً: المطموسة.

هي : العين التي لا يكون بين جفنيْها شق، حتى تصير كأنها ممسوحة.

والطمس :إزالة الأثر بالمحو كلية، كما تطمس الريح الأثر، يقال: أعمى طَمِيس ومَطْموس : إذا كان لا يتبين له جفن، ولا يُرى شفر عينه(٢).

وهذا الوصف ورد في موضعين، هما قوله تعالى ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴾ [يس/٦٦]، وقوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر/٣٧].

والآية الأولى : واردة في سياق ذم الكفار وتوبيخهم على تركهم سلوك طريق الحق مع وضوحه، فبين الله تعالى لهم هنا بعض مظاهر قدرته عليهم، والمعنى :

(١) التحرير والتنوير26 / 91.

(٢) يراجع : مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري (٢٠٩هـ) ١٦٥/٢، تح أ/ محمد فواد سزكين، ط مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٣٨١ هـ، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري (٣١١هـ) ٢٩٣/٤، ط عالم الكتب بيروت ١٩٨٨م، والطبري ٥٤٦/٢٠، ومفردات الراغب ٥٢٤(طمس) بتصرف.

لو نشاء لأعميناهم فعدلوا عن الهدى، فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين الطريق المألوف لم يستطيعوا، فكيف بغيره ؟ ومن أين يبصرون لو فعلنا بهم ذلك ؟!

والثانية : واردة في سياق قصة (لوط)عليه السلام مع قومه، حيث تعرض الآية مشهداً من مشاهدها، حيث راودوه عن ضيفه من الملائكة الكرام، ونهاهم لوط عليه السلام عن ذلك، وحذرهم عقاب الله، إلا أنهم لم يرعووا، فطمس الله على أعينهم فلم يروا الأضياف، وخرجوا من بينهم سالمين.

وألحظ على الآيتين الكريمتين هنا أمرين :-

الأول : أن الطمس لم يقع في الآية الأولى، بل هو وارد على سبيل التهديد والوعيد، ويدل عليه وقوع فعل المشيئة في أسلوب الشرط، ولعل هذا من فرط رحمة الله تعالى بعباده، إذ لم يعاجلهم بالعقوبة، حتى لو كانوا كفاراً، بينما وقع الطمس في قصة لوط عليه السلام، حيث ضربهم جبريل عليه السلام على أعينهم فأعماهم، وورد الفعل ماضياً (فطمسنا) ليؤكد ذلك.

الثاني : الدلالة على تمكّن الطمس وقوته عند وقوعه، وذلك للتعبير بحرف الاستعلاء "على" في الموطن الأول، مع أن الطمس يتعدى بنفسه [1] كما جاءنا في الموطن الثاني، والله أعلم.

خامساً : الخائنة.

يُقصد بها : العين التي تنظر خلسة إلى ما لا يحل لها.

(١) التحرير والتنوير ٢٣/٥١ بتصرف.

أو المراد : العين التي يومئ صاحبها بخلاف ما يُظهر من غدر أو قتل أو ضرب أو خيانة.. ونحوه، فإذا كف بلسانه وأومأ بعينه إلى نحو ذلك وكان ظهور تلك الخيانة من قبل عينه كانت عينه من خائنة الأعين [1].

وهذا الوصف وردت الإشارة إليه في آية واحدة هي قوله تعالى ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

علّق سيدنا ابن عباس – رضي الله عنهما – على الآية السابقة فقال : الرجل يكون في القوم فتمر بهم المرأة فيريهم أنه يغض بصره عنها، فإن رأى منهم غفلة نظر إليها، فإن خاف أن يفطنوا به غضّ بصره، وقد اطّلع الله من قلبه أنه ودّ أنه نظر إلى عورتها[2].

وذكر ابن حجر عن بعض أهل العلم : أن معنى" يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ " أن الله يعلم النظرة المسترقة إلى ما لا يحل، وأما خائنة الأعين التي ذكرت في الخصائص النبوية [3] فهي الإشارة بالعين إلى أمر مباح لكن على خلاف ما

(١) يراجع : عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر العظيم آبادي(ت 1329هـ) 7/ 249 بتصرف، ط دار الكتب العلمية – بيروت1415هـ، وشرح السنة للحسين بن مسعود البغوي (516هـ) 11 / 43 بتصرف تح/ شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ط المكتب الإسلامي بيروت1983م.

(٢) الأثر رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، يراجع المصنف : لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (235هـ) 327/4 تح: محمد عوامة، ط السلفية الهندية.

(٣) يشير بذلك إلى الحديث الصحيح الذي رواه مصعب بن سعد، عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان رضي الله عنه، فجاء به حتى أوقفه على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، ثم أقبل على أصحابه، فقال: «أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا = =حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله؟» فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك؟ فقال: «إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين» رواه الحاكم – واللفظ له – في مستدركه وقال "هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه " ووافقه

يظهر منه بالقول، قلت [١] وكذا السكوت المشعر بالتقرير فإنه يقوم مقام القول [٢]،ولما كانت هذه الخيانة من قِبَل العين أُضيفت إليها، وكان يحرم عليه صلى الله عليه وسلم خائنة الأعين في غير الحرب، ومكايدة العدو وهي أن يشير إلى مباح من غير أن يظهره من ضرب، أو قتل، أو نحوه — كما مر – مما يحل أن ينطق به، ولا يحرم ذلك على الأمة إلا في محظور [٣].

وفي ضوء ذلك نعلم أن هذا الوصف للعين ذمّه القرآن الكريم، وذمّ متصفيه مما يؤكد أهمية ابتعاد المسلم عنه، وبخاصة إذا كان في أمر محظور نهى الشرع عنه، ولم يكن في مكيدة أو حرب، والله أعلم.

الذهبي على ذلك (يراجع : المستدرك على الصحيحين "مع تلخيص الذهبي" لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف (٤٠٥هـ) 3/ 47تح / مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية – بيروت١٩٩٠م) وأبو داود في سننه ك(الجهاد) ب(قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام) ح (٢٦٨٣) يراجع : السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (٢٧٥هـ)3 / 59 تح/ محمد محيي الدين ط المكتبة العصرية بيروت، والنسائي في الكبرى ك(المحاربة) ب (الحكم في المرتد) ح(٣٥١٦) يراجع: السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ) 443/3 تح/ حسن عبد المنعم شلبي ط الرسالة بيروت٢٠٠١ م، وصححه الألباني في الصحيحة (سلسلة الأحاديث الصحيحة لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠هـ)300/4 ط مكتبة المعارف الرياض١٩٩٥م) وغيرها

(١) الكلام للإمام ابن حجر رحمه الله تعالى وجميع علمائنا المسلمين.

(٢) فتح الباري 11/ 9.

(٣) يراجع : شرح السنة للبغوي 11 / 43 بتصرف.

المطلب الثالث : أوصاف العين الخارجة عن المدح والذم.

مر بنا حديث القرآن عن العين المحمودة أولاً، ثم المذمومة ثانياً، وها نحن أولاء في هذا المطلب نقف على صفات العين الخارجة عن المدح والذم ، وهي مرتبة حسب ترتيبها المصحفي كما يلي :-

أولا : المسحورة.

هي : العين التي وقع عليها تأثير السحر، فيُخيّل إليها أنها ترى أشياء غير حقيقية أو واقعية.

أو هي : العين الواقعة تحت التأثير النفسي للسحر، فلا ترى الأشياء على حقيقتها (١).

وهذا الوصف للعين ورد في موضع واحد من كتاب الله تعالى، وهو قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[الأعراف: ١١٦].

وألحظ على الآية الكريمة أمرين :-

أولهما : أن الله تعالى نسب السحر إلى الأعين، ولم ينسبه إلى الناس أنفسهم للدلالة على أنهم سحروا أعين الناس وعقولهم أى: خيّلوا إلى الأبصار – بما فعلوا من التمويه والتخييل – أن صنيعهم له حقيقة في الخارج مع أنه لم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، فتأثيرهم في الرؤية لا في تغيير الحقيقة، ولذا لم يقل- سبحانه- سحروا الناس(٢).

ثانيهما : أن لفظ"الأعين" الوارد على أحد وزان جمع القلة "أفْعُل"، مراد به الكثرة لا القلة، لأن الناس في هذا اليوم جمَعَهم فرعون من كل حدب وصوب

(١) أحوال العين في القرآن الكريم، بحث متاح على موقع رواد القرآن بشبكة المعلومات الدولية.

(٢) يراجع : تفسير القرآن لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (٤٨٩هـ) ٢٠٤/٢ تح أ/ ياسر بن إبراهيم وآخر، ط دار الوطن بالرياض ١٩٩٧م، وزهرة التفاسير ٣٣٩/١،و الوسيط للطنطاوي٣٤٩/٥، والتحرير ٤٨/٩.

لرؤية هذا الحدث الجلل، تصديقاً لقوله تعالى ﴿ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه :٥٩]، وقوله تعالى ﴿ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ [الشعراء:٣٩،٤٠]...ونحو ذلك من الآيات المفيدة كثرة الناس في هذا المشهد المهيب، أو أن جمع القلة على بابه والمقصود به طائفة مخصوصة من الناس، وهم قوم فرعون ومن جمعهم لمثل هذا الأمر، والله أعلم.

ثانياً : المبيضّة.

هي: العين التي غلب البياض على حدقتها من شدة الحزن المستلزم لكثرة البكاء فتذهب الرؤية عنها[(١)].

واخترت هذه التسمية بدلاً من "البيضاء" لأن كلمة "البيضاء" توحي بأن هذا الوصف ذاتي للموصوف، وليس الأمر كذلك، بل جاءها البياض، وغلب على العين بعد ذلك لسبب من الأسباب كالحزن ونحوه، وهذا الوصف وارد في موطن واحد في قوله تعالى ﴿ **وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [يوسف/٨٤].

والآية مسوقة – كما هو معلوم – ضمن قصة يوسف عليه السلام، لبيان عِظم حزن أبيه يعقوب عليه السلام عليه، وللمفسرين في ابيضاض العين قولان :

أولهما : أنه ذهب بصره كلية.

ثانيهما : أنه ضعف بصره لبياض حصل فيه من كثرة بكائه[(٢)]، وذهب بعضهم :إلى أن الآية من قبيل المجاز، وعليه فقوله "**وابيضت عيناه من الحزن** " كناية عن غلبة البكاء[(٣)]، وليس ثمة ذهاب للبصر أو بعضه.

(١) تفسير السمعاني ٥٨/٣ بتصرف.

(٢) تفسير الماوردي ٦٩/٣.

(٣) الرازي ٤٩٨/١٨، واللباب ١٩٠/١١ بتصرف.

وأرجّح القول الأول، حيث إن ظاهر القرآن يؤيده في قوله تعالى﴿ **ٱذۡهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا** ﴾ [يوسف/٩٣].. إلى أن قال تعالى ﴿ **فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ** ﴾ [يوسف/٩٦] فقوله "يَأْتِ بَصِيرًا " و"فَارْتَد بَصِيرًا" يقتضيان سبق العمى، الذي أفضى إليه شدة الحزن وكثرة البكاء، والله أعلم.

ثالثاً : العيون الممنون بها على بعض الأقوام السابقين.

أ - قوم لله هود لله عليه السلام.

قوم هود عليه السلام كانوا يسكنون الأحقاف، وهي جبال رملية قرب حضرموت من ناحية اليمن، وقد جاءوا بعد قوم نوح عليه السلام، وكانوا ممن زاغت قلوبهم بعد فترة من الطوفان الذي طهّر وجه الأرض من العصاة.

وقد وردت هذه القصة في «الأعراف» مفصلة وفي «هود»، كما وردت في سورة «المؤمنون» بدون ذكر اسم هود أو عاد، وهي تُعرض هنا في«الشعراء» مختصرة بين طرفيها : طرف دعوة هود لقومه، وطرف العاقبة التي انتهى إليها المكذبون منهم [(١)]، وقبل هلاكهم ذكّرهم بعظيم نعم الله تعالى عليهم، والتي منها عيون الماء، ولولاها – بعد الله تعالى– ما كانت لهم حياة ولا وجود ألبتة، لكنهم لم يستجيبوا ولم يؤمنوا فحاق بهم سوء العذاب، وهذا ما ذكّرهم به نبيهم عليه السلام بقوله :

(١) في ظلال القرآن أ/سيد قطب (١٣٨٥هـ)٥/٢٦١٠بتصرف، ط دار الشروق بالقاهرة ١٤١٢ هـ.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [الشعراء:١٣١-١٣٥]صدق الله

هذا وإني ألحظ على الآيات الكريمة أموراً كما يلي :-

أولها :أن سيدنا هودا عليه السلام استعمل مع قومه في دعوته "أسلوب التفصيل بعد الإجمال"في قوله تعالى (**وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِيٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ**)[الشعراء:١٣٢،١٣٣] وهذا بلا شك أوقع في النفس، وأبلغ في الموعظة والنصح، ولعل دعاة اليوم يستفيدون من مثل هذه المناهج الدعوية للقرآن الكريم.

ثانيها : ابتدأ هود عليه السلام في تعداد النعم بذكر الأنعام لأنها أجلّ نعمة على أهل ذلك البلد، فمنها أقواتهم ولباسهم وعليها أسفارهم، وكانوا أهل حلّ وترحال، وعَطف عليها البنين لأنهم نعمة عظيمة، وبها أُنْسُهم وعونهم على أسباب الحياة وبقاء ذكرهم بعدهم، وكثرة سوادهم وعددهم [١].

ثالثها : ثم ذكر عليه السلام (الجنات والعيون) بعد ذلك لأنها بها رفاهية حالهم، واتساع رزقهم، وعيش أنعامهم [٢].

رابعها : ورود النعم المذكورة بصيغة الجمع، فهي ليست واحدة، بل أنعام وبنون وجنات وعيون، وهذا الجمع باعتبار التعدد والتنوع، أو باعتبار انفراد كل واحد منهم بمجموع هذه النعم، وهذا فيه مزيد إكرام وإنعام لهم، ومع هذا كله لم يتعظوا ولم ينتفعوا فنزل بهم ما أُوعدوا به، والله أعلم.

ب - قوم لله صالح لله عليه السلام.

(١) التحرير والتنوير ١٩/١٧٠ بتصرف.
(٢) المصدر نفسه ١٩/١٧٠ بتصرف.

كما ذَكّر سيدنا هود عليه السلام قومه بنعم الله تعالى عليهم،ذكّر سيدنا صالح عليه السلام قومه كذلك، ومما ذكّرهم به هذه الجنات والعيون التى أغدقها الله عليهم، والزروع والنخيل المترتبة على هذه العيون، فالعيون ههنا لم توصف بمدح أو ذم، لكنها واردة في مقام الامتنان والتذكير بنعم الله تعالى، ولننظر إلى سيدنا صالح عليه السلام هنا وهو يذكّر قومه بقوله :

﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾ [الشعراء/١٤٦-١٤٨]

والمعنى : أتتركون في ما هاهنا آمنين أي : في هذا الخير والسعة آمنين من الموت في البساتين والأنهار، ويقال : العيون هاهنا الآثار، لأن قوم صالح لم يكن لهم أنهار جارية [(١)].

هذا وإني ألحظ على الآيات الكريمة هنا أمرين :

الأول : أن العيون جاءت مجموعة أيضاً فهذا لتعددها أو تنوعها، وفي كلٍ مزيد إنعام وإكرام.

الثاني: ظاهر هذه الآيات يدل على أن الغالب على قوم هود هو اللذات المعنوية، وهي طلب الاستعلاء والبقاء والتفرد والتجبر، والغالب على قوم صالح هو اللذات الحسية، وهي طلب المأكول والمشروب والمساكن الطيبة الحصينة[(٢)].

ج: بنو إسرائيل.

امتن الله تعالى على بني إسرائيل بمنن عظيمة، وأنعم عليهم بنعم كثيرة متنوعة، ومن ذلك هذه العيون التي رزقهم الله تعالى إياها، والمشار إليها في موضعين من كتابه هما قوله تعالى :

(١) تفسير السمرقندي ٢/٥٦٣ بتصرف.
(٢) تفسير الرازي ٢٤/٥٢٥ بتصرف.

﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:٥٦- ٥٨]صدق الله

وقوله تعالى ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان/٢٥- ٢٨].

وفي تفسير العيون قولان أحدهما: عيون الماء ، وهو قول الجمهور،والثاني: عيون الذهب ، قاله ابن جبير.(١) وأميل إلى ما رجّحه الجمهور، وأن المراد عيون الماء لا الذهب، لأن الله تعالى قال (وكنوز..) بعد قوله (جنات وعيون) مما يدل على أن العيون للماء وليست للذهب، فالعيون شيء، والكنوز شيء آخر، فضلاً عن الذهب أول ما يُكتنز من المعادن، فلفظ الكنوز يدل عليه ويشمله، ولا ثمة داع أن يُشار إليه ثانية، فلغة القرآن منزهة عن العبث، والتكرار غير المفيد، والله أعلم.

والموضعان يتحدثان عن إرث بني إسرائيل للجنات والعيون والكنوز والمقام الكريم، التي كانت لقوم فرعون بعد هلاكهم (والمعنى: أخرجناهم من بساتينهم التي فيها عيون الماء وكنوز الذهب والفضة، والمواضع التي كانوا يتنعمون فيها لنسلمها إلى بني إسرائيل، وسمى الله الكنوز بهذا الاسم، لأنهم لم ينفقوا منها في طاعة الله تعالى، والمقام الكريم هو المنازل الحسنة والمجالس البهية) (٢).

وهذا يقتضي رجوع بني إسرائيل إلى مصر، لأن هذه الجنات والعيون والكنوز.. كانت لفرعون وقومه بمصر، ثم آلت لبني إسرائيل بعد غرق فرعون، فتمتعوا بها فترة معينة، ثم خرجوا إلى الأرض المقدسة التي دعاهم موسى- عليه السلام- لدخولها كما جاء في قوله تعالى ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (٣) [المائدة /٢١].

(١) النكت والعيون ٥/٢٥١.

(٢) تفسير الرازي ٢٤/٥٠٦بتصرف.

(٣) التفسير الوسيط للطنطاوي ١٣/١٢٧ بتصرف وتلخيص.

وألاحظ على هذه الآيات الكريمة أمرين :-

الأول : أن آيات سورة الشعراء بمثابة التفسير لآيات سورة الدخان، حيث فَسرت القوم الآخرين بأنهم بنو إسرائيل، وهذا يُعد من قبيل تفسير القرآن بالقرآن، وهو مقدم على كل تفسير.

الثاني : أن العبد بحسن طاعته وإقباله على ربه، يمنحه النعم الكثيرة والهبات الجزيلة، فبنوا إسرائيل بإيمانهم أورثهم الله تعالى ما كان لفرعون، ولما طغى فرعون وتألّه أهلكه، وأراح منه البلاد والعباد، والله أعلم.

د : العيون والأعين الممنون بها على عموم البشر.

امتن الله تعالى علي بني البشر بنعم عظيمة آفاقيّة وأنفسيّة لا تُعد ولا تُحصى، ومن الآفاقية هذه العيون المائية التي بها قوام كل شيء حي، والتي ذكّر الله تعالى بها البشر في قوله تعالى:

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ [يس:٣٣-٣٥].

ومظاهر الامتنان في الآيات الكريمة – وبخاصة العيون -كثيرة وظاهرة، من أبرزها أمران :-

الأول : التعبير بالتفجير في قوله "وفجرنا" للدلالة على الكثرة والقوة، كما سبق.

الثاني : مجيء العيون بصيغة الجمع للدلالة على الكثرة والتعدد والتنوع، وهذا من عظيم فضل الله تعالى على عباده.

ومن النعم الأنفسية العظيمة هذه التى أكرمنا الله عز وجل لنبصر بها، ولا يقدّر عِظم نعمة إلا من حُرمها، نسأل الله تعالى أن يمتعنا بأبصارنا وأسماعنا وقوتنا ما أحيانا وأبقانا، اللهم آمين.

وهذا الامتنان ورد صريحاً في قوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴾ [البلد/٨].

وألحظ على هذا الموطن الكريم أمرين :-

أولهما : أهمية نعمة البصر، وعظم نفعها، وذلك لتقديمها على بقية النعم المذكورة معها.

ثانيهما : أنه ليس المراد بالعينين وما بعدها العضو وحده، بل ما يترتب عليه من آثار وتبعات، ينتج عنها الثواب والعقاب (من أمانة البصر والنطق، تمهيداً لما يلي في السورة، من تقرير تبعات الرشد، ومسئولية الكلمة بعد وسائل الإدراك الحسي من بصر ونطق،ثم يأتي بعد ذلك التذكير بما هدي تعالى الإنسان إليه من إدراك مميِّز لمعالم الطريقين في قوله تعالى﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد / ١٠]) [(١)] والله أعلم.

هذا وقد ورد في القرآن عيون أخرى خارجة أيضاً عن نطاق المدح والذم، كالعيون التي فجّرها الله تعالى لنجاة نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، والمشار إليها في قوله تعالى ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [القمر/١٢،١١]، وكذلك العيون التي فجّرها الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام لما ضرب الحجر، والمشار إليها في موضعي البقرة والأعراف، إلا أني لم أُفردها بالذكر أو التعليق عليها هنا لأنه قد سبق لي التعليق عليها في ثنايا هذا البحث، مع التفرقة بين الانفجار والانبجاس، وإيثار كلٍ في موضعه، مما يغنينا عن الإعادة هنا، والله أعلم.

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم د/ عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ) ١٨١/١بتصرف ط دار المعارف بالقاهرة.

الخـاتـمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبعز طاعته تُرفع الدرجات، وبمحض عونه تُبلغ المرامات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خير البريات، ختم الله تعالى به جميع الرسل وبرسالته جميع الرسالات، وخصه الله بأكمل الآيات وأوضح البينات، عليه وعلى جميع الأنبياء والرسل أفضل الصلاة وأتم التسليمات.

وبعـد..

فمن خلال هذه الجولة العامة مع كتاب الله تعالى، ألفينا هذه الدوحة الغنّاءة، والحدائق الفينانة الزاهرة من كتاب ربنا ذات رياحين وأزاهير، ووقفنا سوياً على كثير من الأسرار لكتاب الله تعالى في آيات العين،وبيان صفاتها وكثير مما يتعلق بها...

هذا وقد تمخض البحث عن عدة نتائج منها:

أولاً: ثراء لفظ "العين" لغوياً وقرآنياً حتى ربت معانيه اللغوية على الخمسين، ووصلت معانيه وأوجهه القرآنية إلى أحد عشر وجهاً، كما مرّ بنا آنفاً.

ثانياً: رجوع هذه المعاني اللغوية والقرآنية المتعددة إلى وجه واحد وهو"الباصرة" فهو أصل لبقية المعاني، وما عداه فرع عنه.

ثالثاً: التأكيد على أن جمع عين على "أعين" لم يرد في القرآن إلا جمعاً لعين الإنسان الباصرة، وجمعها على "عيون" لم يرد إلا جمعاً لعيون الماء دنيوية كانت أو أخروية.

رابعاً: أن التعبير القرآني عن العين بالطرْف يَرِد للإشارة إلى معنى أوصفة معينة فوق الباصرة كالسرعة،والخوف والهلع، والذلة والمهانة، وقَصْر النظر على الأزواج...كما ورد في ثنايا البحث في غير آية من القرآن.

خامساً: يُفرِّق القرآن في استعماله للفظ "البصر" عن لفظ"العين"،فالعين للدلالة على الحدقة الباصرة،أما البصر فهو اسم لما يترتب عليه وهو الرؤية غالباً.

سادساً: الوقوف على كثير من الأسرار البيانية لكلام الله تعالى، مما يؤكد لدينا أن هذا الكتاب لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد أبداً.

سادساً: حاجة الحقل القرآني إلى المزيد من مثل هذه الدراسات لنؤكد للناس أن هذا القرآن كلام الله المعجز، ورسالته الخاتمة للبشرية جمعاء، ونكمم أفواه الفجرة الكفرة ومن تابعهم، ببيان الإعجاز القرآني، حتى يوقنوا أنه من عند الله تعالي، فتخبت له قلوبهم، ويرعووا عن الطعن فيه، وعن تمزيقه وتحريقه، مزقهم الله كل ممزق.

سابعاً: أنه لا مستحيل مع الصبر، حيث عايشت البحث قرابة عام كامل أو أزيد وربما مرت الأيام والليالي دون أن أكتب حرفاً، لا لشيء إلا لصعوبة مسلك المباحث، وأسبقية الكتابة فيها، ثم صعوبة بيان الأسرار التي تنطوي تحتها، ولولا أن الله وفق وأعان ما تم البحث ولا كان،وفي هذا دافع لكل إخواني الباحثين أن يُنقّبوا عن مثل هذه الكنوز الربانية والدرر القرآنية، ويستخرجوها للناس، وبخاصة أن كثيراً من الأعضاء ذُكرت وتحتاج إلى دراسة كالأيدي والأرجل والأوجه... ولا يهنوا ولا يحزنوا لقلة ما بأيديهم من أمثلة، أو لقلة ما ذكره العلماء في لون ما منها، فالله عز وجل هو الموفق والمعين.

﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد /٣٥].

أولاً: ثبت أهم المصادر والمراجع.

أ ـ مصادر التفسير.

١-إرشاد العقل السليم لأبي السعود محمد بن مصطفى العمادي (982هـ)،ط دار إحياء التراث العربي بيروت.
٢-أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ / محمد الأمين الشنقيطي (ت 1393هـ)، ط دار الفكر بيروت 1995م.
3-أنوار التنزيل لناصر الدين عبد الله البيضاوي (685هـ)، تح أ/ محمد المرعشلي ط دار إحياء التراث العربي بيروت 1418 هـ.
٤-إيجاز البيان عن معاني القرآن لأبي القاسم محمود بن أبي الحسن النيسابوري (نحو 550هـ) تح د/ حنيف القاسمي، ط دار الغرب الإسلامي. بيروت 1415هـ.
٥-أيسر التفاسير لكلام العلي القدير لأبي بكر جابر بن موسى الجزائري،ط مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة 2003م.
٦-البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (745هـ)، تح أ/ صدقي جميل ط الفكر بيروت 1420هـ.
٧-البحر المديد لابن عجيبة أحمد بن محمد (1224 هـ)، تح د/ أحمد القرشي ط الكتب العلمية . بيروت 1419هـ.
٨-البسيط لعلي بن أحمد الواحدي(٤٦٨ هـ)،تح د/محمد المحيميد ط جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض 1430هـ.
٩-بيان المعاني لعبد القادر بن ملا حُويّش آل غازي (1398 هـ) ط الترقي بدمشق 1382هـ.
١٠- التحرير والتنوير للشيخ / محمد الطاهر بن عاشور (1393هـ)، ط مؤسسة التاريخ العربي بيروت 2000م.
١١- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن عمر بن كثير (774 هـ)، تح أ/ سامي سلامة ط دار طيبة 1999 م.
١٢- تفسير القرآن العظيم لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم(327هـ)، تح أ/أسعد الطيب ط مكتبة الباز بالسعودية 1419هـ.

١٣- تفسير القرآن لمنصور السمعاني (489هـ)، تح أ/ ياسر بن إبراهيم وآخر، ط دار الوطن بالرياض 1997م.
١٤- تفسير المراغي للإمام أحمد بن مصطفى المراغي (ت 1371هـ)، ط مصطفى الحلبي 1946م.
١٥- تفسير مقاتل للإمام مقاتل بن سليمان البلخي (150هـ)، تح د/ عبد الله شحاته، ط دار إحياء التراث بيروت 1423 هـ.
١٦- التفسير البياني للقرآن الكريم د/ عائشة عبد الرحمن(بنت الشاطئ) ط دار المعارف بالقاهرة.
١٧- التفسير القرآني للقرآن د/ عبد الكريم الخطيب (بعد 1390هـ)،ط دار الفكر العربي بالقاهرة.
١٨- التفسير القيم لابن قيم الجوزية (751هـ)، تح مجموعة بإشراف أ / إبراهيم رمضان ط مكتبة الهلال بيروت 1410هـ.
١٩- التفسير الكبير للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (606هـ)،ط دار الكتب العلمية بيروت 2000 م.
٢٠- التفسير المظهري لمحمد ثناء الله المظهري، تح أ/ غلام بني التونسي
ط المكتبة الرشدية باكستان 1412هـ.
٢١- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج د /وهبة الزحيلي، ط دار الفكر المعاصر بدمشق 1418 هـ.
٢٢- التفسير الواضح د/محمد محمود حجازي، ط دار الجيل الجديد القاهرة.
٢٣- التفسير الوسيط د/محمد طنطاوي، ط دار نهضة مصر بالفجالة 1998م.
٢٤- جامع البيان لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري (310هـ) تح الشيخ / أحمد شاكر ط الرسالة بيروت 2000م.
٢٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي محمد بن أحمد بن فرح (671هـ)تح أ/ سمير البخاري،ط عالم الكتب بالرياض 2003م.

٢٦- الجواهرالحسان لأبي زيد عبد الرحمن الثعالبي (875هـ) تح الشيخ / محمد معوض، ط إحياء التراث العربي بيروت 1418هـ.
٢٧- حاشية الشهاب علي البيضاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري (1069 هـ)ط دار صادر بيروت.
٢٨- حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي (412هـ)، تح أ/ سيد عمران ط العلمية بيروت 2001م.
٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم لمحمود بن عبد الله الآلوسي (1270هـ)، تح أ/ على عطية ط العلمية بيروت 1415هـ.
٣٠- زاد المسير لابن الجوزي جمال الدين عبد الرحمن (597هـ) تح أ/ عبد الرزاق المهدي ط دار الكتاب بيروت 1422هـ.
٣١- السراج المنير لمحمد بن أحمد الشهير بالخطيب الشربيني (977هـ) ط العلمية . بيروت بدون.
٣٢- فتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (1250هـ)، ط دار القلم الطيب بيروت 1414هـ.
٣٣- في ظلال القرآن أ/سيد قطب (1385هـ)، ط دار الشروق بالقاهرة 1412 هـ
٣٤- الكشاف لمحمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (538هـ)، ط دار الكتاب العربي . بيروت 1407هـ.
٣٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبى (427 هـ)،ط دار إحياء التراث بيروت 1422 هـ .
٣٦- اللباب في علوم الكتاب لأبى حفص عمر بن على بن عادل الدمشقي (ت بعد 880هـ)، ط العلمية بيروت.
٣٧- مراح لبيد لمحمد بن عمر نووي الجاوي (1316هـ)، تح أ/ محمد الضنّاوي ط العلمية بيروت 1417هـ.
٣٨- معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي (ت 510هـ) 296/8تح أ/ محمد عبد الله النمر، ط دار طيبة 1997 م.

٣٩- نظم الدرر لإبراهيم بن عمر البقاعي (885هـ)، تح أ/ عبدالرازق المهدي ط العلمية بيروت 1995م.
٤٠- النكت والعيون للماوردي على بن محمد (450هـ)، تح أ / السيد عبد المقصود، ط العلمية. بيروت.
٤١- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه"لأبي محمد مكي بن أبي طالب المالكي (ت 437هـ) ضمن مجموعة رسائل علمية بجامعة الشارقة، ط جامعة الشارقة 2008م.

ب- مصادر علوم القرآن الكريم.

١- الأشباه والنظائر للثعالبي عبد الملك بن محمد (429هـ)، تح أ/محمد المصرى ط عالم الكتب بسوريا 1984م.
٢- الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي (150هـ) تح د/عبدالله شحاته ط دار غريب بالقاهرة 2001م.
٣- إعراب القرآن وبيانه أ/ محيي الدين درويش (1403هـ) 4/152 ط دار الإرشاد بسورية.
٤- باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن لأبي القاسم محمود بن علي بن الحسين النيسابوريّ (ت بعد 553هـ) تح د/ سعاد بابقي ط جامعة أم القرى 1998م.
٥- البرهان في متشابه القرآن للكرماني محمود بن حمزة (بعد 500هـ) تح د/ أحمدعز الدين ط الوفاء بالمنصورة 1998م.
٦- بصائر ذوي التمييز لمجد الدين الفيروز آبادي (817هـ) تح أ/محمد على النجار ط دار الكتب العلمية بيروت.
٧- تحصيل نظائر القرآن للحكيم الترمذى محمد بن على(320هـ) تح أ /حسنى زيدان ط السعادة بالقاهرة 1975م.
٨- التحقيق في كلمات القرآن أ/ حسن المصطفوي، ط الأولى لمركز نشر آثار العلامة المصطفوي بإيران 1393هـ.

٩- تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي]] (597هـ)تح أ/ طارق السيد،ط العلمية بيروت 2004م.
١٠- التصاريف ليحيى بن سلام (200هـ) تح د/هند شلبي ط الشركة التونسية للتوزيع 1978م.
١١- الحجة في القراءات السبع لابن خالوية الحسين أحمد (370هـ) تح د/ عبد العال مكرم،ط دار الشروق بيروت 1401هـ.
١٢- الحجة للقراء السبعة للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الشهير بأبي علي الفارسي (377هـ)، تح أ/ عبد العزيز رباح وأ/أحمد الدقاق ط دار المأمون بدمشق 1993م.
١٣- الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم د/ أحمد مختار، ط عالم الكتب بالقاهرة 2003م.
١٤- غرائب التفسير وعجائب التأويل لمحمود بن حمزة بن نصر الكرماني (505هـ)، ط دار القبلة بجدة.
١٥- القاموس القويم للقرآن الكريم أ/ إبراهيم أحمد عبد الفتاح، ط مجمع البحوث بالقاهرة 1983م.
١٦- كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر للإمام ابن العماد المصري (887هـ) " تح د/ محمد داود وآخر،
١٧- ط مكتبة شباب الجامعة بالإسكندرية 1977م.
١٨- كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة محمد بن إبراهيم (733 هـ)، تح د/ محمد داود ط دار المنار بالقاهرة 1998م.
١٩- ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد محمد بن يزيد (285هـ)، تح أ/ عبد العزيز الميمني ط السلفية بالقاهرة 1350هـ.
٢٠- المبسوط في القراءات العشر لأحمد بن الحسين (381هـ)، تح أ/ سبيع حاكيمي ط مجمع اللغة العربية بدمشق 1981م.
٢١- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى البصري (209هـ)، تح أ/ محمد فواد سزكين، ط مكتبة الخانجى بالقاهرة 1381 هـ.

٢٢- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (207هـ) تح أ/ أحمد يوسف النجاتي وآخرين،ط الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢٣- معاني القرآن وإعرابه للزجاج إبراهيم بن السري (311هـ)، ط عالم الكتب بيروت 1988م.
٢٤- معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط دار الشروق 1981م.
٢٥- معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم أ/ سميح عاطف الزين، ط دار الكتاب المصري بالقاهرة 2007م.
٢٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم للشيخ / محمد فؤاد عبدالباقي، ط دار الكتب المصرية 1364هـ.
٢٧- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته د/ أحمد مختار عمر، ط مؤسسة سطور بالرياض 2002م.
٢٨- المفردات في غريب القرآن للراغب حسين بن محمد (425هـ)، تح أ/ صفوان عدنان ط العلم بدمشق 1412هـ.
٢٩- ملاك التأويل لأبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (708هـ)،ط العلمية بيروت.
٣٠- موسوعة الألفاظ القرآنية أ/ مختار فوزي النعّال، ط التراث بدمشق 2003م.
٣١- نزهة الأعين لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي (597هـ) تح/ محمد الراضي،ط مؤسسة الرسالة بيروت1984م.
٣٢- الوجوه والأشباه والنظائر لابن العماد المصري (887هـ)تح د/ محمد داود وآخر، ط شباب الجامعة بالإسكندرية 1977م.
٣٣- الوجوه والنظائر لأبي هلال العسكرى (400هـ) تح د /محمد عثمان ط مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة 2007م
٣٤- الوجوه والنظائر لهارون بن موسى الأعور (170هـ) تح د/حاتم الضامن ط وزارة الثقافة العراقية 1988م.

ج ـ مصادر الحديث وشروحه.

١–السنن الكبرى لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (303هـ) تح أ/ حسن عبد المنعم شلبي ط الرسالة بيروت2001 م.
٢–السنن لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني (275هـ)، تح/ محمد محيي الدين ط المكتبة العصرية بيروت.
٣–سلسلة الأحاديث الصحيحة لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (1420هـ)، ط مكتبة المعارف الرياض1995م.
٤–شرح السنة للحسين بن مسعود البغوي (516هـ)، تح/ شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش ط المكتب الإسلامي بيروت1983م.
٥–الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256 هـ) تح د/ مصطفى البُغا ط دار ابن كثير بيروت 1987م.
٦–الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري (261هـ)، ط دار الجيل بيروت.
٧–عون المعبود شرح سنن أبي داود لأبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر العظيم آبادي(ت 1329هـ) ، ط دار الكتب العلمية – بيروت1415هـ.
٨–فتح البارى شرح صحيح البخارى لأحمد بن على بن حجر العسقلاني "ت 852 " هـ، ط دار المعرفة، بيروت 1379 هـ).
٩–المستدرك على الصحيحين "مع تلخيص الذهبي" لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف (405هـ) تح / مصطفى عبد القادر عطا، ط دار الكتب العلمية – بيروت1990م.
١٠– المصنف لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (235هـ)، تح: محمد عوامة، ط السلفية الهندية.

د ـ مصادر اللغة وآدابها.

١–الأفعال في القرآن الكريم د/ عبد الحميد مصطفى، ط دار البيان العربي بجدة 1986م.

٢-تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد بن محمد بن عبد الرازق الحسيني، المعروف بـ " مرتضى الزبيدي " (ت 1205هـ)، تح / مجموعة من العلماء والمحققين ط دار الهداية.
٣-تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ)، تح أ / محمد عوض ط دار إحياء التراث العربي، بيروت 2001م.
٤-جمهرة اللغة لأبى بكر محمد بن الحسن بن دريد (321هـ) 2 / 758 تح أ/ رمزي بعلبكي ط دار العلم للملايين 1987م.
٥-شرح المعلقات السبع للحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ص١٧٤، ط دار إحياء التراث بيروت٢٠٠٢م.
٦-العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (170هـ)، تح د/ مهدي المخزومي، د/ إبراهيم السامرائي، ط دار الهلال بالقاهرة.
٧-القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزأبادي (817هـ) 460/1(قر) تح /مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف أ/محمد العرقسوسي ط الرسالة بيروت 2005 م.
٨-الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي (1094هـ) ص 55 تح أ/ عدنان درويش وآخر ط الرسالة بيروت.
٩-لسان العرب لأبي الفضل محمد بن منظور المصري (ت 711 هـ)، ط دار صادر بيروت بدون.
١٠- مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري (518هـ)، تح أ / محمد محي الدين عبد الحميد ط دار المعرفة . بيروت.
١١- المحكم والمحيط الأعظم لعلي بن إسماعيل بن سيده (458)هـ 6/122تح د/ عبد الحميد هنداوي ط العلمية بيروت 2000م.
١٢- مختار الصحاح لأبي عبد الله زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (666هـ)، تح/ يوسف الشيخ محمد، ط المكتبة العصرية بيروت1999م.

١٣- معجم الفروق الدلالية د/ محمد محمد داود ص 349، 350 ط دار غريب للطباعة بالقاهرة 2008م.
١٤- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم أ.د/ محمد حسن جبل 3/ 1535 ط مكتبة الآداب بالقاهرة 2010م.
١٥- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة 1/409 تح أ / إبراهيم مصطفى وآخرين ط دار الدعوة بالقاهرة.
١٦- مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت 395هـ)، تح أ / عبد السلام هارون ط دار الفكر بيروت 1979م.

٥- مصادر أخرى منوعة.

١-الأعلام لخير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين بيروت 2002م.
٢-تاريخ بغداد لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (463هـ)21/62 تح أ/ مصطفى عطا ط العلمية بيروت 1417هـ.
٣-الزهد والورع والعبادة لتقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (728هـ)، تح أ / حماد سلامة وآخر ط مكتبة المنار بالأردن 1407هـ.
٤-مجموع الفتاوى لتقي الدين بن تيمية (728هـ) جمع وتحقيق أ/ عبدالرحمن قاسم ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة 1995م.
٥-مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين للإمام محمد بن أبى بكر بن قيم الجوزية (751هـ)، تح الشيخ / محمد المعتصم بالله ط الكتاب العربي بيروت 1996م.
٦-معجم الأدباء لشهاب الدين ياقوت الحموي (626هـ)، تح أ/إحسان عباس ط دار الغرب الإسلامي، بيروت1993م.
٧-وفيات الأعيان لأبي العباس أحمد ابن خلكان (681هـ)، تح أ/إحسان عباس ط دار صادر – بيروت1900م.

..... إلى غير ذلك مما هو مثبت في الهوامش من المصادر والمراجع.

ثانياً: ثبت الموضوعات.

الموضـــــوعـــــات	الصفحة
المقدمة.....	٣٨٥
المبحث الأول : حدود ومفاهيم.....	٣٩٠
المطلب الأول : دلالات العين وأوجهها اللغوية.....	٣٩٠
التعليق على المعاني اللغوية.....	٣٩٥
المطلب الثاني : "العين" في المنظور الاصطلاحي.....	٣٩٦
المبحث الثاني: دلالات العين ومرادفاتها في القرآن الكريم.....	٣٩٨
المطلب الأول : العين وأوجهها عند علماء الوجوه والنظائر.....	٣٩٨
المطلب الثاني : دلالات العين ومعانيها في النظم القرآني.....	٤٠٢
أولها : الباصرة.....	٤٠٢
ثانيها : منبع مياه أهل الجنة.....	٤٠٥
ثالثها : منبع الماء الجاري وينبوعه.....	٤٠٨
رابعها : الحفظ والكلاءة.....	٤١٣
خامسها : المنظر والمشهد.....	٤١٥
سادسها : ذات الشيء وعينه.....	٤١٧
سابعها : القلب أو البصيرة.....	٤١٩
ثامنها : ما يسيل بغير ماء.....	٤٢١
تاسعها : منبع بعض شراب أهل النار.....	٤٢٢
عاشرهاً : اتساع العين وجمالها.....	٤٢٣
حادي عشرها : الظهور والجريان.....	٤٢٥
المطلب الثالث : وقفة تأمل مع هذه الدلالات القرآنية.....	٤٢٨
المطلب الرابع : مرادفات "العين" وما يقاربها والاستعمال القرآني لها	٤٣١
أ- الطَرْف.....	٤٣١
ب- البصر.....	٤٣٣
ج- النظر.....	٤٣٦

د – الرؤية.....	٤٣٨
المبحث الثالث : أوصاف العين في القرآن الكريم.....	٤٣٩
المطلب الأول : العين المحمودة وصفاتها في القرآن.....	٤٣٩
المسألة الأولى : أعين المؤمنين وأصافها.....	٤٣٩
أولاً: الفيّاضة.....	٤٣٩
ثانياً : القريرة.....	٤٤١
ثالثاً : الثابتة غير المتطلعة.....	٤٤٤
رابعاً : المتلذذة.....	٤٤٦
المسألة الثانية : عيون الجنة وأوصافها.....	٤٤٨
أولاً : الجارية.....	٤٤٨
ثانياً : النضّاخة.....	٤٤٩
ثالثاً : الكافور.....	٤٥٢
رابعاً : السلسبيل.....	٤٥٤
خامساً : التسنيم.....	٤٥٥
المطلب الثاني : العين المذمومة وأوصافها في القرآن.....	٤٥٧
أولاً : المُعَطّلَة.....	٤٥٧
ثانياً : المُزدرية.....	٤٥٨
ثالثاً : الدوّارة	٤٦٠
رابعاً: المطموسة.....	٤٦٢
خامساً : الخائنة.....	٤٦٤
المطلب الثالث : أوصاف العين الخارجة عن المدح والذم.....	٤٦٦
أولا : المسحورة.....	٤٦٦
ثانياً : المبيضّة.....	٤٦٧
ثالثاً : العيون الممنون بها على بعض الأقوام السابقين.....	٤٦٨
أ – قوم "هود" عليه السلام.....	٤٦٨
ب – قوم "صالح" عليه السلام.....	٤٧٠

ج: بنو إسرائيل.....	٤٧١
د : العيون والأعين الممنون بها على عموم البشر.....	٤٧٢
الخاتمة.....	٤٧٥
أهم المصادر.....	٤٧٧
ثبت الموضوعات.....	٤٨٦

﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين﴾

[الصافات ١٨٠-١٨٢].